المـؤسسـات التـربـوية في بـلـدان الـعـالـم الإسـلامـي
من خـلال رحلتي أبن جبير وأبن بطوطـة
Educational institutions in the countries of the Islamic world Through voyage of Ibn Jubayr and Ibn Battuta

ضياء ادهام سليمان الحديدي
مدرس مساعد
المديريــة العامــة للتربيــة فــي محافظــة نينوى

Dheyaa Idham Sulaiman Al Hadidi
Assistant Teacher
The General Directorate of Education in Nineveh Governorate.

dasah20201985@gmail.com

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
٢٠٢٢/٢/١٤	٢٠٢٢/٣/٢

الكلمات المفتاحية: المؤسسات التربوية– المدارس– ابن بطوطة– ابن جبير
Keywords: educational institutions- schools- Ibn Battuta- Ibn Jubayr- countries

الملخص

يهـدف البحـث الـى وصـف معـالم وأحـوال المؤسسـات التربويـة فـي بلـدان العـالم الإسـلامي خـلال القـرنين الثـاني عشـر والثالـث عشـر الميلاديـين بالاعتمـاد علـى مشاهدات ونعوت الرحالتين أبن جبير، وأبن بطوطة في رحلتيهما.

وقد ثبت من خلال هذه الدراسة تنوع المؤسسات التربوية في هذا البلدان بين المساجد، والكتاتيب، والبيوت، والزوايا، والخوانق وشيوع استخدام المدارس في كثير من أنحاء بلدان العالم الإسلامي. وخلص البحث الى أن أكثر حواضر العالم الإسلامي استخداماً للمؤسسات التعليمية النظامية كانت بغداد، ودمشق، وفاس، حيث انتشرت فيها المدارس بشكل كبير جداً واصبحت قبلة للعلماء والفقهاء والمحدثين ولطلبة العلم.

Abstract

The research aims to describe the features and conditions of educational institutions in the countries of the Islamic world during the twelfth and thirteenth centuries AD, based on the observations and epithets of the two travels, Ibn Jubayr and Ibn Battuta in their two voyage.

The diversity of educational institutions in these countries, between mosques, madrassas, houses, angles, gorges, and the prevalence of use of schools in many parts of the Islamic world has been proven through this study. The research concluded that the most popular cities in the Islamic world used the regular educational institutions were Baghdad, Damascus, and Fez, where schools spread very widely and became a destination for scholars, jurists, modernists and students of knowledge.

المقدمة

لقد اهتم الدين الإسلامي بالعلم والتعليم اهتماماً بالغاً، حيث جاءت أولى الآيات التي أنزلت على رسولنا الكريم (ﷺ) تدعو الى القراءة والتعلم والتي تمثلت في قوله عز وجل: ﴿ا اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1] كما حض الرسول ﷺ في كثير من أحاديثه الى التعلم ورغب فيه قال ﷺ: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ)[2].

وانطلاقاً من هذا المبدأ الإسلامي السامي في الحث على طلب العلم وعَدَّه ضرورة وفريضة على المسلمين، تطلب الأمر واقتضت الحاجة الى وجود مؤسسات تربوية يتعلم بها افراد المجتمع أمور دينهم ودنياهم التي رغب بها الدين الحنيف، وبهذا تنوعت المؤسسات التعليمية في بلدان العالم الإسلامي مع مرور الأيام والدهور، وبتنوع الأزمان والعصور، حتى غدت تلك المؤسسات بأشكال مختلفة، ووظائف متنوعة، حيث عرفت المجتمعات في بلدان العالم الإسلامي أشكالاً مختلفة من هذه المؤسسات، منها المساجد، والكتاتيب، والبيوت، والمدارس، والزوايا، والخوانق، ودور العلم، وغيرها.

ونظراً لأهمية هذه المؤسسات التعليمية في الارتقاء بأفراد المجتمع تربيةً وتعليماً، وإصلاحا فقد بلغ الاهتمام بها مبلغاً، وسعى الناس في كل عصر ومصر الى عمارتها والاهتمام بشأنها، والنفقة عليها، وقد دأب كثير من المؤرخين والرحالة والجغرافيين المسلمين باختلاف العصور على زيارة هذه المؤسسات ووصفوا لنا معالمها، ونعتوا أحوالها، وكيفية التعليم فيها ومن هؤلاء الرحالة ابن جبير (٥٣٩-٦١٤هـ/١١٤٤-١٢١٧م) في كتابه(اعتبار الناسك في ذكر الأثار الكريمة والمناسك المعروف برحلة ابن جبير)؛ والرحالة ابن بطوطة(٧٠٣-٧٧٠هـ/ ١٣٠٤-١٣٦٨م) في كتابه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) والمعروفة برحلة ابن بطوطة، حيث اعطتنا رحلتاهما معلومات وافية عن هذه المؤسسات من خلال مشاهداتهم ومعايناتهم.

ولهذا جاء موضوع هذا البحث ألا وهو(**المؤسسات التربوية في بلدان العالم الإسلامي من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة)** ليكون مساهمة يسيرة وبقدر متواضع ليسلط الضوء على أهم المؤسسات التربوية في بلدان العالم الإسلامي وليُعْلِمُنا عن هيأتها وكيفية التدريس في هذه المؤسسات في الحقبة التي عاش فيها الرحالتان ابن جبير وابن بطوطة.

---

(١) سورة العلق، الآية: ١.

(٢) حديث حسن رواه الترمذي وصححه الشيخ الألباني. ينظر: الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الجامع الكبير – سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف،(دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨ م) برقم: (٢٦٤٦) ؛ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (المكتب الإسلامي، د.م، د.ت) ، برقم(٦٢٩٨) .

وكان مما حمل الباحث على اختيار هذا الموضوع هو أهميته المتمثلة بالقيمة الكبيرة والمكانة الجليلة للعلم في حياة المسلمين، ولأهمية المؤسسات التربوية في الحياة الثقافية والعلمية فهي اضحت اليوم ركيزة أساسية من ركائز تدريس العلوم الدينية والدنيوية.

أما منهج البحث فهو قائم على الدراسة الوصفية بالاعتماد على النصوص التي جاءت في كتب الرحالة والمشاهدات التي دوناها لتصف لنا الحياة العلمية الثقافية يومئذٍ.

قسمت الدراسة الى مقدمة، وتمهيد، ومبحثان، فضلاً عن نتائج الخاتمة، جاء في التمهيد: تعريف بالمؤسسات التربوية وأهميتها في الإسلام وكيفية تطورها على مدار الأيام والعصور. وتناول المبحث الأول فقرتين: تناولت الفقرة الأولى ترجمة ابن جبير والتعريف بكتابه. أما الفقرة الثانية فقد جاء فيها وصف الرحالة ابن جبير للمؤسسات التربوية في بلدان العالم الإسلامي. في حين جاء المبحث الثاني ضمن فقرتين: تناولت الفقرة الأولى: ترجمة ابن بطوطة والتعريف بكتابه، أما الفقرة الثانية جاء فيها وصف الرحالة ابن بطوطة للمؤسسات التربوية في بلدان العالم الإسلامي. وضمت الخاتمة أهم ما توصل اليه الباحث من آراء.

التمهيد

تُعرف المؤسسة التربوية بأنها ذلك الوسط أو الحيز المكاني الذي يساعد الأفراد على النمو والتطور، ونيل العلوم والمعارف المفيدة، واكتساب السلوك الحسن، والأخلاق الحميدة، والسير نحو الفضائل. وتتنوع اشكال ومظاهر المؤسسات التربوية في بلدان العالم الإسلامي بتنوع الحياة وتطورها، وبحسب البيئة الزمانية والمكانية، وهي متعددة الأشكال، مختلفة الأنماط تشمل المساجد، والبيوت، والكتاتيب، والمدارس، والزوايا، والخوانق، وغيرها. وبلا شك فإن المؤسسات التربوية لها أثر بالغ في تحول الإنسانية نحو الأفضل وأن تطورها يزيد من تطور المجتمعات ورقيها، فقد كان الفرد في الماضي يتعلم من أسرته ومجتمعه كل شيء، ثم ما إن تطورت المجتمعات وتوسعت، وازدادت المعارف والعلوم، واتسعت متطلبات الناس وحاجاتهم في مجتمعاتهم، حتى تطورت المؤسسات التربوية وتنوعت في المجتمعات مع مرور الأيام والدهور.(١)

وتُعد سنة(٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م) حداً فاصلاً فيما يخص تطور مؤسسات ومنشأت التربية والتعليم وأماكنها، ففي هذه السنة أنشأت أولى المؤسسات العلمية الرسمية في بغداد، والتي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك، الذي وزر للسلطان ألب آرسلان، ثم لابنه ملكشاه، في الاعوام (٤٥٦-٤٨٥هـ/١٠٦٣-١٠٩٢م). ثم شاع أنتشار هذه المدارس في اصقاع العالم الإسلامي وبلدانه، حيث كان التعليم قبل هذا التاريخ قائماً في أمكنة مختلفة، فقد كان للكتاتيب حضور قوي في عملية التعليم قبل ظهور المدارس إذ أنه كان قائم على تعليم الكتابة والقراءة، فقد كان يقام في المنازل، ثم برزت الحاجة لتعلم القرآن وأمور الدين، فاتخذت المساجد أماكن للكتاتيب للتعلم. كما كانت قصور الخلفاء تتخذ لتعليم وتأديب الصبيان، فقد كانت تعقد فيها حلقات الآداب، وعلوم الفقه، والحديث، والحكمة. وكانت حوانيت الوراقين ودكاكين بيع الكتب مجمعاً ومرتعاً للعلماء والفقهاء يتذاكرون فيها ويتناقشون.(٢)

أما المسجد فقد ارتبط به التعليم ارتباطاً وثيقاً حيث قامت فيه حلقات التدريس منذ نشأته، وأن وظيفته لم تقتصر على الجانب الديني فحسب بل تعداه الأمر ليشمل مهمة التربية والتعليم واستمر ذلك الحال عبر تعاقب السنين، وقد اتخذه رسول الله (ﷺ) ليكون مركزاً للتعليم والتوجيه والتفقه في الدين، إذ كان المسجد النبوي مقصداً للمتعلمين في تلقي العلم وتعليمه، وكان (ﷺ) يُعلِّم أصحابه والوافدين على المدينة النبوية أمور دينهم، في أروقة المسجد النبوي، وكان أحيانًا

---

(١) جامل، عبد الرحمن عبد السلام، طرق التدريس العامة، ط٢،(دار المناهج للنشر، د.م، ٢٠٠٠م) :١٧؛ القيسي، عبد هادي فريح، دور المؤسسات التربوية في تنمية المجتمع،(جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، ٢٠١١م) : ٨/٢.

(٢) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، سير أعلام النبلاء، ط٣، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط(مؤسسة الرسالة، د.م، ١٩٨٥م) : ٩٥/١٩؛عبد الدائم، عبدالله، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، ط١،(دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣م) : ١٤٥-١٥٦/١٤٨.

يعلمهم عن طريق الخطب المنبرية.[١] قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ/١٣٢٧م) – رحمه الله : " كانت المساجد مواضع الأئمة ومجامع الأمة...؛ فإن النبي ﷺ أسس مسجده المبارك على التقوى: ففيه الصلاة والقراءة والذكر؛ وتعليم العلم والخطب. وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء. وفيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم..."[٢] واستمر الحال على ذلك طول إقامة الرسول (ﷺ) في المدينة، وكذلك استمر الحال في خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين، حيث حذو في ذلك حذوه وساروا على هديه ونهجه، فقد كان علماء الصحابة (ﷺ) يُعلمون الناس العلم في المسجد النبوي، وفي مساجد الأمصار التي فتحوها، وكان من أبرز من لازموا التعليم في المساجد الصحابي عبد الله بن مسعود(ت: ٣٢هـ/٦٥٢م) ، والصحابي أبو هريرة الدوسي(ت: ٥٧هـ/ ٦٧٦م)، والصحابي أبو الدرداء عويمر بن زيد (ت: ٣٢هـ/٦٥٢م)، والصحابي معاذ بن جبل(ت: ١٧هـ/٦٣٨م)، والصحابي أبو ذر الغفاري(ت: ٣١هـ/ ٦٥١م)، وعبد الله بن عمر(ت: ٧٤هـ/٦٩٣م)، وعبد الله بن عمرو(ت: ٦٥هـ/ ٦٨٤م)، وعبد الله بن عباس(ت:٦٨هـ/٦٨٧م) (رضي الله عنهم أجمعين).[٣]

أما في عهد التابعين ومن تبعهم من بعدهم فقد ازدهر التعليم في المساجد، وكانت هي دور العلم الأولى التي يقصدها طلاب العلم. [٤] إذ كان المسجد الحرام في مواسم الحج يغص بالمئات من الناس، وكان العلماء يجلسون فيه للفتاوى، وتدريس العلوم، حيث كانت حلقات العلم يفسر فيها القرآن، ويُروى الحديث، ويُفَصِّلُ مسائل الفقه، وتدرس فيه علوم العربية. [٥] وبهذا :" كان المسجد أول مدرسة جماعية منظمة عرفها العرب، لتعليم الكبار والصغار، ولتربية الرجال والنساء"[٦]

كما كان بجانب المساجد، والكتاتيب، ودور العلم، مؤسسات أخرى تعقد فيها حلقات التدريس، وتعلم العلوم ظهرت في عصور لاحقة، وهي الخوانق، والرُبَط، والزوايا، وكلها خاصة بالمتصوفة يتخذونها أماكن لتأدية العبادات، والتدريس، بجانب المبيت والمأكل بها،

(١) الحميدي، عبد العزيز عبد الله، عمارة المساجد المعنوية وفضلها، طبعة (وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ١٩٩٨م) :٦٠-٦٣؛ الرشيد، عبد العزيز راشد علي، رسالة المسجد التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة،(جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٢م) :٩-١٠.

(٢) أبن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٥م) :٣٥/٣٩.

(٣) الحميدي، عمارة المساجد:٦٠-٦٣؛ الرشيد، رسالة المسجد:١٠.

(٤) الحميدي، المرجع نفسه:٦٠-٦٣؛ الرشيد، المرجع نفسه:١٠.

(٥) الرشيد، رسالة المسجد:٢٢.

(٦) النحلاوي،عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع،ط٢٥،(دار الفكر، د.م، ٢٠٠٧م) :١١٨.

حيث كانت تعقد فيها حلقات العلم ويدرس الفقه، والحديث النبوي، والدين، والعربية، والتصوف، كما كانوا يلحقون بها كتاتيب لتعليم الصبيان القراءة والكتابة، والقرآن، وهي أيضاً مأوى يلجأ أليها الرحالة من علماء وطلبة علم الذين يجوبون أرجاء العالم الإسلامي.(١)

وفي العصور العباسية المتأخرة، ظهرت الى جانب المساجد والكتاتيب، مدارس مختصة لتدريس العلوم والمعارف،(٢) التي أُنفِقَت عليها الأَموال، وحُبِسَتْ عليها الأَوقاف، وبدأ ذلك بالمدارس التي أنشاءها الوزير السلجوقي نظام الملك، والتي ابتدأ إنشاءها في بغداد ثم امتدت الى بلخ، ونيسابور، وهرات، وأصفهان، والبصرة، ومرو، وآمل،(٣) والموصل، وغيرها. كما شهد عصر الايوبيين والمماليك تطوراً مشهوداً في بناء المدارس وتطورها. (٤) وقد ذكر لنا ابن جبير في معرض حديثه عن مدينة بغداد ان عدد المدراس فيها لا يحصى وأوصل مدارس الجانب الشرقي الى ثلاثين مدرسة وذكر والاوقاف الموقوفة على هذه المدارس، وحال المدرسين والطلبة فيها، وعبر عن ذلك بقوله:" واما المساجد بالشرقية والغربية فلا يأخذها التقدير فضلا عن الاحصاء. والمدارس بها نحو الثلاثين، وهي كلها بالشرقية، وما منها مدرسة الا وهي يقصر القصر البديع عنها وأعظمها وأشهرها النظامية وهي التي ابتناها نظام الملك، وجددت سنة أربع وخمس مئة. ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة تتصير الى الفقهاء المدرسين بها، ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم، ولهذه البلاد في أمر هذه المدارس " (٥) كما وصل عدد المدارس في دمشق الى نحو عشرين مدرسة عبر عن ذلك بقوله:" وبهذه البلدة نحو عشرين مدرسة، وبها مارستانان قديم وحديث،...وهذه المارستانات مفخر عظيم من مفاخر الإسلام، والمدارس كذلك. ومن أحسن مدارس الدنيا منظرا مدرسة نور الدين، رحمه الله،..."(٦)

هذا وقد تحدث ابن جبير عن حلقات التدريس في دمشق، وكيفية التعليم فيها، واهم المواد المقررة فيها حيث ذكر حلقات تدريس الطلبة التي كانت تعقد في جامع دمشق بمختلف

---

(١) طلس، محمد أسعد، التربية والتعليم في الإسلام، (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م) :٩٦-١٠١.

(٢) النحلاوي، أصول التربية: ١٢٠.

(٣) أمُل: بضم الميم واللام، اسم أكبر مدينة في طبرستان، وهي من البلدان الفارسية تقع في ايران في العصر الحاضر. ينظر : اليعقوبي،أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح، البلدان، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م) : ٩١؛ الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، ط٢، (دار صادر، بيروت، ١٩٩٥ م) : ٥٧/١.

(٤) الأهواني، احمد فؤاد، التربية في الاسلام، (دار المعارف، مصر، د.ت) : ٦٣؛ عبد الدائم، التربية عبر التاريخ: ١٥٦.

(٥) ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الأثار الكريمة والمناسك المعروف برحلة ابن جبير، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ت) ١٨٣.

(٦) المصدر نفسه: ٢٣٠-٢٣١.

فئاتهم، والمدرسين فيها على مختلف مذاهبهم، والأوقاف التي وقفت لهم، والأماكن المخصصة لتعليم الصبيان الأيتام، كما ذكر طريقة تعليم القرآن الكريم بالتلقين، وتعليمهم الخط، وغيرها من أحوال التعليم وشؤونه. بقوله:" وفي هذا الجامع المبارك مجتمع عظيم،...وفيه حلقات للتدريس للطلبة، وللمدرسين فيها اجراء واسع، وللمالكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي، يجتمع فيها طلبة المغاربة، ولهم اجراء معلوم...، لها وقف معلوم ... وتعليم الصبيان للقرآن بهذه البلاد المشرقية كلها انما هو تلقين، ويعلمون الخط في الأشعار وغيرها، ..." (١)

وسنستعرض في المباحث القادمة إن شاء الله أهم المؤسسات العلمية والتربوية في بلدان العالم الإسلامي التي صورها لنا ابن جبير، وابن بطوطة من خلال رحلتيهما والتي تشتمل على المساجد، والمدارس، والخوانق، والزوايا، والرباطات، وقصور الأمراء، وغيرها من منشئات التعليم ومؤسساته.

(١) ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الأثار الكريمة والمناسك المعروف برحلة ابن جبير،: ٢٢٠.

المبحث الأول

المؤسسات التربوية في بلدان العالم الإسلامي من خلال رحلة ابن جبير

اولاً: ترجمة ابن جبير والتعريف برحلته وكتابه:

هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن سعيد بن جبير بن محمد بن مروان الكناني، البلنسي، ثم الشاطبي. ولد بمدينة بلنسية سنة(٥٣٩هـ/١١٤٤م)، وقيل: بشاطبة سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م). وهو رحالة أديب، كاتب بليغ، حسن الخط، مهتم بالأدب، بارع في النظم والنثر، عارفاً بالشعر، له ثلاث رحلات من الأندلس إلى المشرق، حجّ في كل واحدة منها. خرج برحلته الأولى من غرناطة يوم الخميس لثمان خلون من شوال(٥٧٨هـ/١١٨٢مـ)، بصحبة صديقه أبي جعفر بن حسان، ثم عاد إلى غرناطة لثمان بقين من محرم (٥٨١هـ/١١٨٥م)، ثم صنّف رحلته المشهورة، (رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك) المعروف برحلة ابن جبير، وذكر فيها مشاهداته من عجائب وغرائب البلدان، والمشاهد العظيمة. وعند فتح بيت المقدس على يد السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي، (٥٣٢ – ٥٨٩ هـ / ١١٣٨ – ١١٩٣ م)، عقد العزم على القيام بالرحلة الثانية، فخرج من غرناطة، يوم الخميس لتسع خلون من ربيع الأول من سنة (٥٨٥هـ/١١٨٩م)، ثم عاد منها إلى غرناطة يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من شعبان (٥٨٧هـ/١١٩١م).. ثم رحل رحلته الثالثة من سبتة، فوصل الى مكة، وجاور بها طويلا، ثم زار بيت المقدس، ثم تجوّل بمصر والإسكندرية، فأقام يُحدّث، ويعلم العلم حتى مات بالإسكندرية، في ٢٩ شعبان، سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م).[١]

ثانياً: وصف ابن جبير للمؤسسات التربوية في بلدان العالم الإسلامي:

بدأت رحلة أبن جبير يوم الجمعة ٣٠ من شهر شوال سنة (٥٧٨هـ /١١٨٢م)، وانتهت عندما عاد إلى غرناطة لثمان بقين من محرم (٥٨١هـ/١١٨٥م)، ليصف لنا خلال هذه المدة أحوال جملة من بلدان العالم الإسلامي، ويرسم لنا صورة المعالم الثقافية، ويصور المؤسسات التربوية، على مدار ثلاث سنوات، فابتدأ حديثه بمدينة الاسكندرية التي قدم إليها من المغرب عن طريق البحر، ثم القاهرة، ثم مكة المكرمة، ثم وصف بغداد، ثم بلاد الشام، مبتدئاً رحلته بقوله:" بسم الله الرّحمن الرّحيم ابتدئ بتقييدها يوم الجمعة الموفي ثلاثين لشهر شوّال سنة ثمان وسبعين وخمس مئة على متن البحر..."[٢].

والمتتبع لخط سير الرحلة يجد أنها ترسم معالم طريق سير الحجاج بين بلاد الحجاز وبلاد المغرب، وقد وصف خلال رحلته المعالم الحضارية للبلدان التي زارها، فضلاً عن المؤسسات

---

(١) الذهبي، سير أعلام: ٢٢/٤٥-٤٦؛ ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الشهير بلسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١(دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م) : ٢/١٤٦-١٥٢؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، ط١٥، (دار العلم للملايين، د.م، ٢٠٠٢م) :٥/٣١٩-٣٢٠.

(٢) ابن جبير، المصدر السابق:٧.

الدينية والثقافية، ونعت أحوالها وأخلاق سكانها، وطبائعهم، وتطرق الى أحوالهم الاجتماعية، وجعلها كرؤية عين.[١]

١- المؤسسات التربوية في مصر

ابتدأ ابن جبير رحلته بوصف مصر وذكر مناقبها، ونعت معالم، ومدارس، ومساجد، هذا البلد، وقد تطرق لمدينة الإسكندرية في مطلع حديثه عن مصر، فذكر مدارسها ومساجدها، والمدرسين والمعلمين في هذا البلد، واختصاصات سلطانها في هذا المجال، ومعاملة اهلها للوافدين إليها، ذكر أن الوافدين لهذه المدينة من طلبة العلم كانت تخصص لهم مساكن يأوون إليها، ومدرسين يعلمونهم العلم الذي يريدون تعلمه، قال عن الاسكندرية :" ...لأهل الطلب والتعبد يفدون من الأقطار النائية فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوى إليه ومدرسا يعلمه الفن الذي يريد تعليمه وإجراء يقوم به في جميع احواله..."[٢] كما تطرق الى المشاهد التي بنيت بجوارها المدارس مثل مدرسة بقرب مشهد الإمام الشافعي (رضي الله عنه)، ثم ذكر من تولى أمرها ويدر بالنفقات لها، وسعة مساحتها حتى أنه شبهها ببلد مستقل بذاته من كبر حجمها، وحسن بنائها، بقوله:" مشهد الإمام الشافعي...وبنى بازائه مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها لا اوسع مساحة ولا أحفل بناء يخيل لمن يتطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته ... والبناء فيها حتى الساعة والنفقة عليها لا تحصى تولى ذلك بنفسه الشيخ الإمام الزاهد العالم المعروف بنجم الدين الخبوشاني [ت: ٥٨٧هـ/١١٩١م] وسلطان هذه الجهات صلاح الدين ..."[٣]

ثم يذكر لنا ابن جبير مسجد ابن طولون الكبير والحلقات الدراسية القائمة به والنفقات التي تنفق على الوافدين إليه، بقوله:" وبين مصر والقاهرة المسجد الكبير المنسوب إلى أبي العباس أحمد بن طولون[٤] وهو من الجوامع العتيقة الأنيقة الصنعة الواسعة البنيان جعله السلطان مأوى للغرباء من المغاربة يسكنونه ويحلقون فيه وأجرى عليهم الأرزاق في كل شهر..."[٥]

ثم ذكر فضل السلطان على هذه المساجد والمدارس بما يغدقه من نفقات ويعطيه من أعطيات، واهتمامه ببناء اماكن تدريس ومحاضرة للفقراء والإيتام وإلزامهم بتعلم القرآن، قال ابن

---

(١) الدباغ، هدى ياسين يوسف، المظاهر الحضارية في الموصل من خلال رحلة أبن جبير(ت٦١٤هـ/١٢١٧م) ، مجلة دراسات موصلية، (العدد(٣٨) ذو الحجة ١٤٣٣هـ/ تشرين الأول ٢٠١٢م) :٨٩.

(٢) ابن جبير، المصدر السابق:١٥.

(٣) المصدر نفسه:٢١.

(٤) ابن طولون: أبو العباس أحمد بن طولون، مؤسس الأمارة الطولونية في مصر والشام الذي حكم للفترة (٢٥٣-٢٧٠هـ/ ٨٦٨-٨٤٨م) ، وتعد الأمارة الطولونية إحدى الأمارات التي كانت تدين بالولاء للخلافة العباسية، ثم استقل بمصر عن الخلافة العباسية، فكان أول من يستقل بمصر. ينظر: مادة (احمد بن طولون) في ويكيبديا الموسوعة الحرة على الموقع الإلكتروني:www.ar.wikipedia.org

(٥) ابن جبير، المصدر السابق:٢٥.

جبير في ذكر مآثر السلطان صلاح الدين الآيوبي ومفاخره على هذه المؤسسات:" وما منها جامع من الجوامع ولا مسجد من المساجد ولا روضة من الروضات المبنية على القبور ولا محرس من المحارس ولا مدرسة من المدارس الا وفضل السلطان يعم جميع من يأوي اليها ويلزم السكنى فيها، تهوّن عليه في ذلك نفقات بيوت الاموال. ومن مآثره الكريمة المعربة عن اعتنائه بأمور المسلمين كافة أنه أمر بعمارة محاضر ألزمها معلمين لكتاب الله، عز وجل، يعلمون أبناء الفقراء والايتام خاصة وتجرى عليهم الجراية الكافية لهم"(١).

٢- المؤسسات التربوية في مكة المكرمة:

لقد أقتصر كلام أبن جبير عند حديثه عن المؤسسات التربوية في مكة المكرمة بذكر المسجد الحرام والبيت العتيق، وما يحيط بهما من حلقات للمدرسين، والتفاف الطلاب حولهم قال:" والحرم محدق بحلقات المدرسين وأهل العلم. وفي جدار البلاط الذي يقابله أيضا مصاطب تحت حنايا على تلك الصفة، ..." (٢).

٣- المؤسسات التربوية في العراق:

وصل ابن جبير الى مدينة بغداد سنة (٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م). فوصف مدينة بغداد وصفاً دقيقاً وذكر فيها الكثير من المؤسسات التربوية، والمدارس، والمساجد، ومجالس والوعظ، التي يقام فيها تدريس العلوم وتعليمها، أشار في حديثه الى كثرة المدارس، والمساجد في مدينة بغداد، وحسن بنائها، حيث أوصلها الى ثلاثين مدرسة بالجانب الشرقي من بغداد، وذكر الاوقاف الموقوفة على هذه المدارس، وحال المدرسين والطلبة فيها، ومن أشهر المدارس التي أشار إليها في هذا الموضع المدرسة النظامية، وعبر عن ذلك بقوله:" واما المساجد بالشرقية والغربية فلا يأخذها التقدير فضلا عن الاحصاء. والمدارس بها نحو الثلاثين، وهي كلها بالشرقية، وما منها مدرسة الا وهي يقصر القصر البديع عنها وأعظمها وأشهرها النظامية وهي التي ابتناها نظام الملك، وجددت سنة أربع وخمس مئة[١١١٠م]. ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة تتصير الى الفقهاء المدرسين بها، ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم، ولهذه البلاد في أمر هذه المدارس والمارستانات شرف عظيم وفخر مخلد، ..." (٣).

ثم بعد ذلك انبرى ابن جبير لوصف حال المدرسة النظامية، ووصفها وصفاً دقيقاً يليق بمكانتها، وقدرها، ثم يذكر أهم مشايخها وكيفية التعليم فيها، وأهم العلوم التي تدرس فيها، والوقت الذي تعقد فيه حلقات العلم، وكيفية جلوس المدرسيين فيها، وجلوس الطلاب بين أيديهم، وبين مدى تأثير هذه المدارس ومُدرسيها في نفوس طلاب العلم، كما ذكر المذاهب الفقهية التي كانت تُدرس في هذه المدارس، وأشهر مشايخها، وكل احوال التعليم فيها، وقد عبر عن ذلك عند ذكره مجالس الوعظ التي حظرها، حيث وصفها لنا وصفاً دقيقاً، بقوله:" فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الإمام رضيّ الدين القزويني [ت:٥٩٠هـ/١١٩٣م] رئيس

(١) ابن جبير، المصدر السابق:٢٥.
(٢) المصدر نفسه:٦٠-٦١.
(٣) المصدر نفسه: ١٨٣.

الشافعية، وفقيه المدرسة النظامية، والمشار اليه بالتقديم في العلوم الأصولية. حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة اثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور، فصعد المنبر، وأخذ القراء أمامه في القراءة على كراسي موضوعة، فتوّقوا وشوّقوا، وأتوا بتلاحين معجبة، ونغمات محرجة مطربة، ثم اندفع الشيخ الإمام المذكور فخطب خطبة سكون ووقار وتصرف في أفانين من العلوم، من تفسير كتاب الله عز وجل، وايراد حديث رسوله، (ﷺ)، والتكلم على معانيه. ثم رشقته شآبيب المسائل من كل جانب، فأجاب، وما قصر، وتقدم وما تأخر، ودفعت اليه عدة رقاع منها، فجمعها جملة في يده وجعل يجاوب على كل واحدة منها وينبذ بها الى أن فرغ منها. وحان المساء فنزل وافترق الجمع. فكان مجلسه مجلس علم ووعظ، وقورا هينا لينا، ظهرت فيه البركة والسكينة، ولم تقصر عن ارسال عبرتها فيه النفس المستكينة، ولا سيما آخر مجلسه، فإنه سرت حميا وعظه الى النفوس حتى أطارتها خشوعا، وفجرتها دموعا،... وشهدنا له فيها مجلسا ثانيا اثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من الشهر المذكور، وحضر ذلك اليوم مجلسه سيد العلماء الخراسانية، ورئيس الأئمة الشافعية، ودخل المدرسة النظامية بهزّ عظيم وتطريف آماق، تشوقت له النفوس، فأخذ الإمام المتقدم الذكر في وعظه مسرورا بحضوره، ومتجملا به، فأتى بأفانين من العلوم، على حسب مجلسه المتقدم الذكر. ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين الخجندي[ت: ٥٨٠هـ/١١٨٤م]..." (١)

ثم وصف لنا ابن جبير مجلس علم آخر في بغداد غير مجالس المدارس النظامية السالفة الذكر، وهو مجلس الشيخ جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوزي(ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، الذي كان يدرس العلوم الفقهية على المذهب الحنبلي، وهو غير مذهب المدارس النظامية التي كانت تُدَرِّس المذهب الشافعي، والذي خُصص له أماكن خاصة لتعليمه للناس، وكان مجلسه يعقد كل يوم سبت عند داره في الجانب الشرقي من بغداد على الشط بمقربة من باب البصيلة قرب قصور الخلفاء، وكل خميس بباب بدر في ساحة قصور الخليفة، حيث وصف هيئته، وقدرته العلمية الفائقة، وقوة تأثيره في الطلاب، ووصفه بأنه ليس له مثيل لا في بغداد ولا فيما يجاورها من البلدان، ووصف لنا كيف كان يرتدي الطيلسان، وكيف كان يدعو للسلطان، بقوله:" ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه، الإمام الأوحد، جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوزي، بإزاء داره على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصيلة آخر أبواب الجانب الشرقي، وهو يجلس به كل يوم سبت،...، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة ومالك أزمة الكلام في النظم والنثر، والغائص في بحر فكره على نفائس الدّرّ، فاما نظمه فرضي الطباع، مهياري الانطباع، وأما نثره فيصدع بسحر البيان، ويعطل المثل بقسّ وسحبان. ومن أبهر آياته، وأكبر معجزاته، أنه يصعد المنبر ويبتدئ القرّاء بالقرآن، وعددهم نيف على العشرين قارئا،... فإذا فرغوا أخذ هذا الإمام الغريب الشأن في ايراد خطبته،... ثم

(١) ابن جبير، المصدر السابق: ١٧٤-١٧٩.

انه اتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بيّنات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقا، وذابت بها الأنفس احتراقا، الى أن علا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، واعلن التائبون بالصياح،... وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل، وتطير اليه الرقاع، فيجاوب أسرع من طرفة عين... ثم شاهدنا مجلسا ثانيا له، بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر، بباب بدر في ساحة قصور الخليفة، ومناظره مشرفة عليه. وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة، وخص بالوصول اليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة ووالدته ومن حضر من الحرم. ويفتح الباب للعامة فيدخلون الى ذلك الموضع، وقد بسط بالحصر. وجلوسه بهذا الموضع كل يوم خميس. فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور، وقعدنا الى أن وصل هذا الحبر المتكلم، فصعد المنبر، وأرخى طيلسانه عن رأسه تواضعا لحرمة المكان، وقد تسطر القراء أمامه على كراسي موضوعة، فابتدروا القراءة على الترتيب، ...، فكان يومه في ذلك أعجب من أمسه، ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته، ... ثم سلك سبيله في الوعظ، كل ذلك بديهة لا روية؛ ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقروءات على النسق مرة أخرى. فأرسلت وابلها العيون، وابدت النفوس سر شوقها المكنون ... ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار...، تشعل القلوب وجداً،... ففرغ من انشاده وقد هز المجلس طربا، ثم أخذ في شأنه وتمادى في ايراد سحر بيانه، وما كنا نحسب أن متكلما في الدنيا يعطي من ملكة النفوس والتلاعب بها ما أعطي هذا الرجل، ... وشاهدنا بعد ذلك مجالس لسواه من وعاظ بغداد...، بالإضافة الى ما عهدناه من متكلمي الغرب. وكنا قد شاهدنا بمكة والمدينة،...، فصغرت، بالإضافة لمجلس هذا الرجل الفذ، في نفوسنا قدرا، ولم نستطب لها ذكرا..."[١]

٤- المؤسسات التربوية في بلاد الشام:

ارتحل ابن جبير الى بلاد الشام سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) ليصف لنا أحوال العمران وطبيعة الحياة الثقافية في مدن بلاد الشام، فأبتدأ بذكر مدينة دنيصر[٢] وذكر مدرستها بقوله:"ولها مرافق كثيرة... وخارجها مدرسة جديدة بقية البناء فيها، ويتصل بها حمّام، والبساتين حولها، فهي مدرسة ومأنسة."[٣] ثم أشار الى مدينة رأس العين[٤] وبَيَّنَ لنا مدرستها ووصف لنا احوالها، وجمال موقع ومناظر هذه المدرسة المقامة في جزيرة خضراء بالقرب من النهر، وتحيط بها البساتين ودواليب الماء بقوله:" وبمقربة من هذه الخانقة بحيث تناظرها

(١) ابن جبير ، المصدر السابق: ١٧٤-١٧٩.

(٢) دنيصر: وهي مدينة منبسطة فسيحة يحيط بها البساتين، وكأنها بادية ولا سور لها، كثيرة السكان، ولها أسواق حفيلة والأرزاق بها واسعة، من بلدان الشام. . ينظر: الحِميرى، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، المحقق: إحسان عباس، ط٢، (مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م) : ٢٥٠.

(٣) ابن جبير، المصدر السابق: ١٩٤.

(٤) رأس العين: مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين ودنيصر، ، فيها عيون كثيرة صافية تجتمع كلّها في موضع فتصير نهر الخابور. ينظر: الحموي، معجم البلدان:٣/١٤.

مدرسة بازائها حمام وكلاهما قد وهى واخلق وتعطل وما أرى كان في موضوعات الدنيا مثل موضوع هذه المدرسة لأنها في جزيرة خضراء والنهر يستدير بها من ثلاثة جوانب والمدخل إليها من جانب واحد وامامها ووراءها بستان وبإزائها دولاب يلقى الماء إلى بساتين مرتفعة..."[١] ثم ذكر مدينة حران[٢] وما فيها من الزوايا والمساجد، واهم شيوخها بقوله:" لقينا من أفرادهم الشيخ أبا البركات حيان بن عبد العزيز حذاء مسجده المنسوب اليه. وهو يسكن منه في زاوية بناها في قبلته، وتتصل بها في آخر الجانب زاوية لابنه عمر قد التزمها... ولقينا أيضا بمسجد عتيق الشيخ الزاهد سلمة،..."[٣] ثم ذكر لنا المدرسة الحنفية، وخمس مدارس اخرى ما سواها في مدينة حلب، ووصف لنا أحوالها وبنيانها بقوله:" ويتصل به من الجانب الغربي مدرسة للحنفية تناسب الجامع حسنا واتقان صنعة ... وهذه المدرسة من أحفل ما شاهدناه من المدارس بناء وغرابة صنعة، ومن أظرف ما يلحظ فيها أن جدارها القبلي مفتّح كله بيوتا وغرفا ولها طيقان يتصل بعضها ببعض... وللبلدة سوى هذه المدرسة نحو أربع مدارس أو خمس. ولها مارستان "[٤]، ثم تكلم عن مدينة حماة ووصف أحوالها وذكر أنها تضم جامعاً كبيراً وثلاث مدارس، بقوله:" ولها جامع أكبر من الجامع الأسفل ولها ثلاث مدارس ومارستان على شط النهر بإزاء الجامع الصغير"[٥] وأشار إلى أن مدينة حمص تضم مدرسة واحدة بقوله:" وبها مدرسة واحدة،..."[٦].

وعند دخوله لمدينة دمشق ذكر المدارس فيها ووصف التعليم والتعلم في هذه المدارس، وذكر ابن جبير ان دمشق تضم قرابة عشرين مدرسة، وانها كانت من احسن المدارس آنذاك، بقوله:" وبهذه البلدة نحو عشرين مدرسة، وبها مارستانان قديم وحديث،...وهذه المارستانات مفخر عظيم من مفاخر الإسلام، والمدارس كذلك. ومن أحسن مدارس الدنيا منظرا مدرسة نور الدين، رحمه الله،..."[٧] ثم ذكر ابن جبير مساعي الناس وجهودهم في بناء المدارس، عليها، إذ ذكر انه من عادة أهل هذا البلد ان النساء الخواتين المقتدرات أو الأمراء قد يأمرون ببناء المساجد أو المدارس، ويتولون النفقة، قال : "ومن النساء الخواتين ذوات الأقدار من تأمر ببناء مسجد أو رباط أو مدرسة وتنفق فيها الأموال الواسعة وتعين لها من مالها الأوقاف. ومن الأمراء من يفعل مثل ذلك... "[٨].

---

(١) ابن جبير، المصدر السابق: ٢١٨.
(٢) حرَّانُ : مدينة مشهورة من مدن بلاد الشام من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرّها يوم وبين الرّقّة يومان. ينظر: الحموي، معجم البلدان:٢/٢٣٥.
(٣) ابن جبير، السابق: ١٩٧-١٩٨.
(٤) المصدر نفسه: ٢٠٤.
(٥) المصدر نفسه: ٢٠٧.
(٦) المصدر نفسه: ٢٠٩.
(٧) المصدر نفسه: ٢٣٠-٢٣١.
(٨) المصدر نفسه: ٢٢٣.

واستمر ابن جبير في وصف أحوال دمشق العلمية، ونعت أحوالها الثقافية، إذ ذكر حلقات تدريس الصبيان التي خصصت للتعليم، وذكر المدرسة الشافعية فيها، بقوله:" ودهليز الباب الشمالي فيه زوايا على مصاطب محدقة بالأعواد المشرجبة، وهي محاضر لمعلمي الصبيان ... وعن يمين الخارج أيضا من باب البريد مدرسة للشافعية..." "[١] ثم ذكر ابن جبير الجامع المكرم بدمشق وأشار الى حلقات التدريس فيه، وكيفية التعليم فيه، واهم المواد المقررة فيه، لا بل أنه بالغ في وصفه حتى ذكر الأوقاف التي أوقفت فيه للمذاكرة والتدريس، لا بل حتى طريقة التدريس وهي التلقين، وأشار الى تعليمهم الخط وغيرها من فنون العلم فيقول:" وفي هذا الجامع المبارك مجتمع عظيم،...وفيه حلقات للتدريس للطلبة، وللمدرسين فيها اجراء واسع، وللمالكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي، يجتمع فيها طلبة المغاربة، ولهم اجراء معلوم...وأغرب ما يحدث به أن سارية من سواريه،...، لها وقف معلوم يأخذه المستند اليها للمذاكرة والتدريس. أبصرنا بها فقيها من أهل اشبيلية يعرف بالمرادي... وللصبيان أيضا على قراءتهم جراية معلومة...وللأيتام من الصبيان محضرة كبيرة بالبلد لها وقف كبير، يأخذ منه المعلم لهم ما يقوم به وينفق منه على الصبيان ما يقوم بهم وبكسوتهم؛... وتعليم الصبيان للقرآن بهذه البلاد المشرقية كلها انما هو تلقين، ويعلمون الخط في الأشعار وغيرها، ..." [٢]

(١) ابن جبير، المصدر السابق: ٢١٩.
(٢) المصدر نفسه: ٢٢٠.

المبحث الثاني

المؤسسات التربوية في بلدان العالم الإسلامي من خلال رحلة ابن بطوطة

اولاً: ترجمة ابن بطوطة والتعريف برحلته وكتابه:

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، المكنى أبو عبد الله، المعروف بابن بطوطة: واحداً من أشهر الرحالة، فضلاً عن كونه مؤرخاً مغربياً ، وقاضاً من قبيلة لواتة، لقب بأمير الرحالين المسلمين من بيت علم وقضاء [(١)]ولد ونشأ في طنجة بالمغرب الأقصى يوم الاثنين ١٧ رجب(٧٠٣هـ- ٢٤ فبراير ١٣٠٤م)، وخرج منها يوم الخميس الثاني من شهر رجب سنة ٧٢٥ هـ /١٣٢٥م قاصداً حج بيت الله الحرام فطاف بلاد المغرب، ومصر ، والشام، والحجاز، والعراق، وفارس، واليمن، والبحرين، وتركستان، وما وراء النهر، وبعض الهند، والصين، والجاوة، وبلاد التتر، وأواسط إفريقية. واتصل بكثير من الملوك والأمراء، فمدحهم وأثنى عليهم في اشعاره واستعان بهباتهم وعطاياهم على أسفاره وترحاله. استغرقت رحلته ٢٧ سنة (٧٢٥-٧٥٣هـ/ ١٣٢٥ – ١٣٥٣م) وعاد إلى المغرب الأقصى، وبعد أن اتم اسفاره وترحاله انقطع إلى سلطان المغرب أبي عنان المريني فاستقر في بلاده. ومن ثم أملى أخبار ترحاله على (محمد ابن جُزَيّ) الكَلْبي بمدينة فاس سنة (٧٥٦ هـ/ ١٣٥٦م) وسماها **(تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)**، حكى فيها احواله ومشاهداته وغرائب ما رآه وعاينه، من أحوال البلدان وعمارتها، وعوامها وعلماءها، وملوكها وأمرائها، ودون عن أوضاعها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والدينية، والحياة الثقافية والعلمية، في البلدان التي زارها. مات في مراكش بحدود سنة (٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)[(٢)].

ثانياً: وصف ابن بطوطة للمؤسسات التربوية في بلدان العالم الإسلامي:

١- المؤسسات التربوية في بلاد المغرب:

خرج ابن بطوطة من مدينة طنجة مسقط رأسه يوم الخميس الثاني من شهر رجب سنة ٧٢٥ هـ /١٣٢٤م قاصداً حج بيت الله الحرام وهو ابن اثنتين وعشرون سنة فطاف بلاد المغرب، قال ابن بطوطة:" كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمدا حج بيت الحرام، وزيارة قبر الرسول

---

(١) الزركلي، الأعلام: ١٠/٢٣٥-٢٣٦؛ مادة (ابن بطوطة) في ويكبيديا الموسوعة الحرة على الموقع الإلكتروني: www.ar.wikipedia.org.

(٢) بن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط٢،(مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد،١٩٧٢م) : ٥/٢٢٧؛ الزركلي، ، الأعلام: ٦/٢٣٦؛ كحالة ، عمر رضا، معجم المؤلفين، (مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، د.ت) : ١٠/٢٣٥-٢٣٦؛ حلاق، حسان، مكة المكرمة من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، ط١، (دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦م) :١١٧- ١١٨.

عليه أفضل الصلاة والسلام ....، وسنّى يومئذ اثنتان وعشرون سنة " ثم توجه ابن بطوطة الى تونس عن طريق تلمسان، ومليانة، والجزائر، وبجاية، وقسنطينة، وعنابة وسجل لنا أولى مشاهداته عن المؤسسات التربوية في بلدان العالم الإسلامي في مدينة تونس قال :" وصلنا مدينة تونس،... حتى دخلت المدينة ونزلت منها **بمدرسة الكتبيين**" وهذه المدرسة يظهر انها المدرسة التي بناها الأمير أبو زكرياء المتوفى عام ٧٠٠هـ[١٣٠٠م]..." (١).

٢- المؤسسات التربوية في مصر:

وفي أول جمادى الأولى عام(٧٢٥هـ/١٣٢٥م) رحل ابن بطوطة الى مصر وذكر أماكن التعلم فيها من مدارس، ومساجد، وزوايا، واشار الى ان المدارس بمصر لا تعد ولا تحصى لكثرتها بقوله:" وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها" (٢) ثم وصل مدينة الإسكندرية فوصفها وصفاً دقيقاً وذكر ابرز علمائها وموضع التعلم فيها، قال في ذكر بعض علماء الإسكندرية:" فمنهم قاضيها عماد الدين الكندي إمام أيمة علم اللّسان، وكان يعتم بعمامة خرقت المعتاد للعمائم لم أر في مشارق الأرض ومغاربها عمامة أعظم منها! رأيته يوما قاعدا في صدر محراب وقد كادت عمامته أن تملأ المحراب! ومنهم فخر الدين بن الرّيغي وهو أيضا من القضاة بالإسكندرية فاضل من أهل العلم "(٣)، ومن مدينة الاسكندرية عاد الى مدينة القاهرة بعد أن مر بمدن، وبلدات، وقرى مصرية عديدة فذكر مساجدها، ومدارسها، وزواياها التي تلقى فيها الدروس، وتدرس فيها العلوم مثل مسجد عمرو بن العاص، والزوايا التي تجاوره ويدرس فيها الإمام أبو عبد الله الشافعي، بقوله:" ومسجد عمرو بن العاص مسجد شريف كبير القدر شهير الذكر، تقام فيه الجمعة، والطريق يعترضه من شرق إلى غرب، وبشرقه الزاوية حيث كان يدرس الإمام أبو عبد الله الشافعي "(٤).

ثم وصف هذه الزوايا وبناتها والمسؤولين عنها وطريقة التعليم فيها، وعاداتهم، وتقاليدهم المتداولة بقوله:" وأما الزوايا فكثيرة وهم يسمونها الخوانق، واحدتها خانقه والأمراء بمصر يتنافسون في بناء الزوايا، وكل زاوية بمصر معينة لطائفة من الفقراء وأكثرهم الأعاجم، وهم أهل أدب ومعرفة بطريقة التصوف، ولكل زاوية شيخ وحارس، وترتيب أمورهم عجيب..."(٥)

ومن أماكن التعلم في مصر التي ذكرها ابن بطوطة في رحلته قصور بعض الأمراء ودورهم حيث كانت تعقد فيها جلسات لتلقي العلم الشرعي يقرأ فيها صحيح البخاري يحضرها الفقهاء وعامة الناس عند المغرب وينصرفون عند العشاء، ومن ذلك دار القاضي فخر الدين القبطي، وقد عبر عن ذلك بقوله:" القاضي فخر الدين القبطي، وكان نصرانيا من القبط فأسلم

---

(١) ابن بطوطة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ، تحقيق: عبد الهادي التازي، (أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٧م) :١/١٥٣/١٦٤.

(٢) ابن بطوطة، المصدر السابق:١/ ٢٠٣.

(٣) المصدر نفسه:١/ ١٧٩/١٨٥.

(٤) المصدر نفسه:١/ ٢٠٣.

(٥) المصدر نفسه:١/ ٢٠٤.

وحسن إسلامه،...، ومن عادته أن يجلس عشى النهار في مجلس له باسطوان داره على النيل ويليه المسجد فإذا حضر المغرب صلى في المسجد وعاد إلى مجلسه وأوتى بالطعام، ولا يمنع حينئذ أحدا من الدخول كائنا من كان، ... ويحضر عنده في ذلك الوقت الفقهاء، ويقرأ بين يديه كتاب البخاري فإذا صلى العشاء الأخيرة انصرف الناس عنه "[١].

ثم تابع ابن بطوطة مسيره في مصر بمحاذاة مجرى نهر النيل يبتغي بلوغ البحر الأحمر للوصول منه الى المدن الحجازية،[٢] فسافر الى مدينة مُنية أبن خصيب التي تقع على شاطئ نهر النيل وذكر أهميتها وجوانب تفضيلها على بلاد الصعيد وذلك بما تضمه من مدارس، وزوايا، ومساجد، بقوله:" ثم سافرت منها إلى مدينة منية ابن خصيب، وهي مدينة كبيرة الساحة، متسعة المساحة،...، بها المدارس والمشاهد والزوايا، والمساجد،..."[٣].

ومن منية ابن خصيب سافر الى مدينة منلوي التي تبعد ميلين عن النيل، ومنها الى مدينة منفلوط، ثم الى مدينة أسيوط، ثم الى مدينة إخميم التي تقع على نهر النيل ووصفها وصفاً دقيقاً وذكر فيها مدرسة الخطيب المبنية بالحجارة بقوله:" وكان بإخميم رجل يعرف بالخطيب أمر على هدم بعض هذه البرابي وابتنى بحجارتها مدرسة،..."[٤].

ثم سافر من إخميم الى مدينة (هُوْ) المطلة على النيل ووصف بها مدرسة تقي الدين ابن السراج وطرق التعلم بها والأوراد التي تقرأ فيها بقوله:" وسافرت من إخميم إلى مدينة (هُوْ) ...، نزلت منها بمدرسة تقي الدين ابن السراج ورأيتهم يقرءون بها في كل يوم بعد صلاة الصبح حزبا من القرآن ثم يقرءون أوراد الشيخ أبي الحسن الشاذلي وحزب البحر "[٥].

ثم سافر الى مدينة قِنَا ورأى فيها المدرسة السيفية ووصف ذلك بقوله:" ثم سافرت إلى مدينة قنا...، وبها قبر الشريف الصالح ... عبد الرحيم القناوي رحمة الله عليه، ورأيت بالمدرسة السّيفية منها حفيده شهاب الدين أحمد "[٦].

وفي مدينة قوص التي وصفها بأنها عظيمة وجميلة يذكر انها تضم مساجد ومدارس كثيرة، وزوايا ورجالات علم، منها زاوية ابن عبد الغفور، وزاوية الأقرم، وزاوية الفقيه برهان الدين، والمدرسة المالكية، بقوله:" وسافرت من هذا البلد إلى مدينة قوص ... لها المساجد الكثيرة، والمدارس الأثيرة، ...، وبخارجها زاوية الشيخ شهاب الدين ابن عبد الغفار، وزاوية الأقرم، ...، ومن علمائها القاضي بها جمال الدين بن السديد، والخطيب بها فتح الدين بن دقيق العيد أحد الفصحاء البلغاء الذين حصل لهم السبق في ذلك، ...، ومنهم الفقيه بهاء الدين بن عبد العزيز المدرس بمدرسة المالكية، ومنهم الفقيه برهان الدين ابراهيم الأندلسي له

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق: ٢١٦/١.
(٢) حلاق، مكة المكرمة: ١١٨.
(٣) ابن بطوطة، المصدر السابق:٢٢٤/١.
(٤) المصدر نفسه: ٢٢٥/١-٢٢٧.
(٥) المصدر نفسه: ٢٢٧/١.
(٦) المصدر نفسه: ٢٢٨/١.

زاوية عالية "[١] ثم سافر الى مدينة الأقصر، ومنها الى مدينة أُرْمَنْت، ثم سافر الى مدينة أسْنا والتي وصفها بأنها "كثيرة الزوايا، والمدارس، والجوامع" ثم سافر منها إلى مدينة أدفو ثم اجتاز نهر النيل من مدينة أدفوا إلى مدينة العطواني [٢].

٣- المؤسسات التربوية في بلاد الشام

ثم قصد ابن بطوطة في رحلته بلاد الشام وذلك في منتصف شعبان سنة (٧٢٦هـ/١٣٢٦م) وزار خلالها مدناً وبلدات عديدة، واسهب في ذكر مظاهر الحياة الثقافية، والمؤسسات التربوية في بلاد الشام، فوصف مساجدها، ومدارسها، وزواياها، وحلقات التدريس، والمعلمين فيها. فذكر مدارس بني حمدان، والمدرسة الشرابشية، والمدرسة الشافعية، والمدرسة العادلية، والمدرسة الظاهرية، والمدرسة النورية، والمدرسة الصمصامية، والمدرسة النجمية، ومدرسة ابن عمر، ومدرسة ابن منجا، وغيرها من المدارس. ثم ذكر المسجد الأموي ووصفه وصفاً دقيقاً وذكر علماءه ومدرسيه وطريقة التدريس فيه [٣].

وكان أول مدينة قصدها في بلاد الشام مما يلي مصر مدينة غزة، وذكر عمارتها، ومساجدها، وعلماءها، ومدرسيها، بقوله:" ثم سرنا حتى وصلنا إلى مدينة غزة، وهي أول بلاد الشام مما يلي مصر متسعة الأقطار كثيرة العمارة حسنة الأسواق بها المساجد العديدة ولا سور عليها، وكان بها مسجد جامع حسن، والمسجد الذي تقام الآن به الجمعة فيها بناه الأمير المعظم الجاولي، وهو أنيق البناء محكم الصنعة ومنبره من الرخام الأبيض، وقاضي غزة بدر الدين السلختي الحوراني، ومدرسها علم الدين بن سالم، وبنو سالم كبراء هذه المدينة، ومنهم شمس الدين قاضي القدس "[٤].

ومن مدينة غزة توجه الى مدينة الخليل ثم الى القدس، ثم الى عسقلان، ثم الى الرملة، ثم الى نابلس، ثم الى عجلون، ثم الى الغور، ثم الى عكا، ثم الى صور، ثم الى صيدا، ثم الى طبرية، ثم الى بيروت، ثم الى طرابلس، ثم الى حصن الأكراد، ثم الى مدينة حمص فوصف أجواءها، وأرجاءها، وذكر مساجدها، وزواياها، وأشهر علمائها ومدرسيها، بقوله:" ثم سافرت إلى مدينة حمص وهي مدينة مليحة، أرجاؤها مؤنقة، ...، وجامعها متميّز بالحسن الجامع، وفي وسطه بركة ماء، ...، وبخارج هذه المدينة قبر خالد ابن الوليد ...، وعليه زاوية ومسجد ..."[٥] ثم سافر من مدينة حمص الى مدينة حماة، ثم الى معرة النعمان، ثم الى سرمين، ثم الى مدينة حلب، فوصف مسجدها الجامع، ومدرسة أمراء حمدان المجاورة للجامع، وذكر ثلاث مدارس بالبلدة غير مدرسة امراء حمدان، وذكر بعض علماؤها وفقهاؤها بقوله:" ثم سرنا إلى مدينة حلب المدينة الكبرى، والقاعدة العظمى،...، ومسجدها الجامع من أجمل المساجد،... وبقرب جامعها مدرسة مناسبة له في حسن الوضع واتقان الصنعة تنسب لأمراء

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق: ١/٢٢٨-٢٢٩.
(٢) المصدر نفسه: ١/٢٢٩.
(٣) المصدر نفسه: ١/٢٣٩-٣٣٩.
(٤) المصدر نفسه: ١/٢٣٩.
(٥) المصدر نفسه: ١/٢٦٦-٢٦٧.

حمدان، وبالبلد سواها ثلاث مدارس، وبها مارستان... قاضي قضاة الحنفية الامام المدرس ناصر الدين ابن العديم...ومنهم قاضي القضاة المالكية لا أذكره، كان من الموثقين بمصر...، ومنهم قاضي قضاة الحنابلة لا أذكر اسمه وهو من أهل صالحية دمشق. ونقيب الاشراف بحلب بدر الدين ابن الزهراء. ومن فقهائها شرف الدين ابن العجمي" [١].

ومن مدينة حلب توجه ابن بطوطة الى مدينة تيزين، ثم الى قنسرين، ثم إلى انطاكية وذكر فيها زاوية الشيخ المعمّر محمد بن علي، ومر من انطاكية الى مجموعة من الحصون ، ثم وصل الى مدينة جبلة، ومنها وصل الى مدينة اللاذقية ذكر المساجد، منها مسجد ابن البهاء والزوايا فيها ثم ذكر أشهر علمائها، وشيوخها بقوله:" ثم سافرت إلى مدينة اللاذقية وهي مدينة عتيقة على ساحل البحر... وكنت إنما قصدتها لزيارة الولي الصالح عبد المحسن الاسكندري فلما وصلتها وجدته غائبا بالحجاز الشريف فلقيت من أصحابه الشيخين الصالحين سعيد البجائي ويحيى السلاوي، وهما بمسجد علاء الدين بن البهاء ... وكان عمّر لهما زاوية بقرب المسجد ...، وقاضيها الفقيه الفاضل جلال الدين عبد الحق المصري المالكي،..."[٢]

وفي يوم الخميس التاسع من شهر رمضان عام(٧٢٦هـ/١٣٢٥م) دخل ابن بطوطة مدينة دمشق من قبل بعلبك، وكان معجباً بها كثيراً ومشتاقاً إليها، فوصفها وصفاً يليق بها، وأجاد في نعت محاسنها، وذكر معالمها، ووصف صورتها، فذكر أهلها، ومدارسها، ومساجدها، والمدرسين والمعلمين فيها، وفقهاءها، وشيوخها، وطريقة التعلم في مؤسساتها، قال في ذلك:" وكان دخولي لبعلبك عشية النهار وخرجت منها بالغدو لفرط اشتياقي إلى دمشق ووصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين إلى مدينة دمشق الشام فنزلت منها بمدرسة المالكية المعروفة بالشرابشية "[٣] وقد وصف اهل دمشق بتفصيل جميل وأشار الى كرمهم وتنافسهم في بناء المساجد، والمدارس، والزوايا وكيف أنهم يكرمون من يفد إليهم، ويبذلون أموالهم على أهل العلم والعلماء، ويعينونهم. وعبر عن ذلك بقوله:" وأهل دمشق يتنافسون في عمارة المساجد والزوايا والمدارس والمشاهد، ...، وكلّ من انقطع بجهة من جهات دمشق لا بد أن يتأتى له وجه من المعاش من إمامة مسجد أو قراءة بمدرسة أو ملازمة مسجد يجيء إليه فيه رزقه، أو قراءة القرآن أو خدمة مشهد من المشاهد المباركة أو يكون لجملة الصوفية بالخوانق تجرى له النفقة والكسوة، ...، ومن أراد طلب العلم أو التفرغ للعبادة وجد الاعانة التّامة على ذلك "[٤].

ثم ذكر ابن بطوطة جامع دمشق المعروف بجامع بني أمية، فوصف حسنه، وكماله، وصناعته، وبناءه، ومعالمه، ومساحاته، وأبعاده، وقبابه، وصومعه، وأبوابه، ثم ذكر أئمة هذا المسجد، وعلماءه، والمدرسين والمعلمين به، وحلقات التدريس، وكيفية التدريس والقاء الدروس

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق: ١/٢٧٢/٢٧٦/٢٨٣.
(٢) المصدر نفسه: ١/٢٩٢.
(٣) المصدر نفسه: ١/٢٩٧.
(٤) المصدر نفسه: ١/٣٣١.

فيه، وكيفية سماع الحديث فيه، والحصول على إجازة في علم من العلوم، والمذاهب التي تدرس فيه، واشهر علمائه من النساء والرجال وقد عبر عن ذلك بقوله:" وهو أعظم مساجد الدّنيا احتفالا، وأتقنها صناعة وأبدعها حسنا وبهجة وكمالا،... وفي قبلة المسجد المقصورة العظمى التي يؤم فيها إمام الشافعية، ...، وعن يسار المقصورة محراب الصحابة،...، وفيه يؤم إمام المالكية، وعن يمين المقصورة محراب الحنفية وفيه يؤم إمامهم، ويليه محراب الحنابلة وفيه يؤم إمامهم... وأئمته ثلاثة عشر إماما أولهم إمام الشافعية،...القزويني،... ثم إمام المالكية... الفقيه أبو عمر التّجيبي... ثم إمام الحنفية ... الفقيه عماد الدين الحنفي المعروف بابن الرومي،...ثم إمام الحنابلة... الشيخ عبد الله الكفيف أحد شيوخ القراءة بدمشق،...وبهذا المسجد حلقات التدريس في فنون العلم، والمحدثون يقرءون كتب الحديث على كراسي مرتفعة، وقراء القرآن يقرءون بالأصوات الحسنة صباحا ومساء وبه جماعة من المعلمين لكتاب الله يستند كل واحد منهم إلى سارية من سواري المسجد يلقّن الصبيان ويقرئهم، وهم لا يكتبون القرآن في الألواح تنزيها لكتاب الله تعالى، وانما يقرءون القرآن تلقينا. ومعلم الخط غير معلم القرآن يعلمهم بكتب الأشعار وسواها،...، ومن المدرسين بالمسجد المذكور .. بن الفركح الشافعي، .. بن الصايغ ...، بن جهبل،...، ومنهم الامام...السّخاوي... سمعت بجامع بني أمية عمّره الله بذكره، جميع صحيح الإمام ...البخاري رضي الله عنه على الشيخ ... المعروف بابن الشّحنة الحجّار في أربعة عشر مجلسا، أولها يوم الثلاثاء منتصف شهر رمضان المعظم سنة ست وعشرين وسبعمائة وآخرها يوم الاثنين الثامن والعشرين منه بقراءة الامام الحافظ مؤرخ الشام ...البرزالي ...، في جماعة كبيرة كتب اسماءهم محمد بن طغريل ...الصيرفي، بسماع الشيخ أبي العباس الحجازي لجميع الكتاب،... وممن أجازني من أهل دمشق إجازة عامة الشيخ أبو العباس الحجار...، ومنهم الشيخ الإمام شهاب الدين...المقدسي...ومنهم الشيخ الإمام الصالح عبد الرحمن...البجدي. ومنهم إمام الأيمة...المزّي...ومنهم الشيخ الامام علاء الدين علي بن يوسف... الشافعي، والشيخ الإمام الشريف محيي الدين يحيى ابن محمد بن علي العلوي. ومنهم الشيخ الامام المحدث..بن المعلى الدمشقي ...ومنهم الشيخ الامام العالم شهاب الدين أحمد بن ابراهيم بن فلاح بن محمد الاسكندري. ومنهم الشيخ...بن تمام، والشيخان الأخوان شمس الدين محمد، وكمال الدين عبد الله ابنا ابراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي، والشيخ ...الهكّاري. والشيخة الصالحة أم محمد عائشة بنت محمد...الحراني. والشيخة الصالحة رحلة الدنيا زينب بنت كمال الدين...المقدسي، كلّ هؤلاء أجازني إجازة عامة في سنة ست وعشرين بدمشق "[1]

ثم ذكر ابن بطوطة في معرض حديثه عن دمشق جملة من مدارس دمشق، وأشار الى ان التعليم مقسم على أساس مذهبي فثمة مدارس للشافعية، ومدارس للحنفية، ومدارس للمالكية، ومدارس للحنابلة، ذكر المدرسة المالكية الشرابشية، والمدرسة الشافعية، والمدرسة العادلية، والمدرسة الظاهرية، والمدرسة النورية، والمدرسة الصمصامية، والمدرسة النجمية، ومدرسة أبي

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق:١/٣٠٦-٣٣٧.

عمر، ومدرسة أبن منجا، وغيرها من المدارس. وقد بين ذلك عند ذكر مدارس دمشق بقوله:" إعلم أن للشافعية بدمشق جملة من المدارس أعظمها العادلية، ...، وتقابلها المدرسة الظاهرية،... وللحنفية مدارس كثيرة وأكبرها مدرسة السلطان نور الدين وبها يحكم قاضي القضاة الحنفية. وللمالكية بدمشق ثلاث مدارس إحداها الصمصامية،...، والمدرسة النورية عمرها السلطان نور الدين محمود ابن زنكى والمدرسة الشرابشية عمّرها شهاب الدين الشرابشي التاجر، وللحنابلة مدارس كثيرة أعظمها المدرسة النجمية " (١).

كما ذكر ابن بطوطة أنه ثمة مدارس أخرى في أرباض دمشق على المذهب الحنبلي، منها ربض الصالحية الذي ضم مسجداً جامعاً، ومارستان، ومدرسة تعرف بمدرسة أبي عمر، ومدرسة أبن منجّا، وهذه المدارس موقوفة لمن أراد تعلم القرآن من كبار السن والذين تجري لهم، ولمعلميهم كفايتهم من ملبس ومأكل، عبر عن ذلك عند ذكر أرباض دمشق، بقوله:" ...بدمشق من جهاتها ما عدا الشرقية أرباض فسيحة الساحات،... فيها مسجد جامع ومارستان، وبها مدرسة تعرف بمدرسة أبي عمر موقوفة على من أراد أن يتعلم القرآن الكريم من الشيوخ والكهول وتجرى لهم ولمن يعلمهم كفايتهم من المأكل والملابس. وبداخل البلد أيضا مدرسة مثل هذه تعرف بمدرسة ابن منجّا،..."(٢).

٤- المؤسسات التربوية في بلاد الحجاز:

تأخذ بلاد الحجاز أهميتها وفضائلها من كونها تضم أفضل وأطهر بقاع الأرض قاطبة، مهبط الوحي مكة المكرمة، والمدينة المنورة، تمتد بلاد الحجاز من تخوم صنعاء الى تخوم الشام، (٣) وهي تضم أثني عشر موضعاً وبلدة، وعلى رأسها مكة المكرمة، والمدينة المنورة، واليمامة، وتبوك، ومخاليفها، سميت الحجاز حجازاً لأنها تحجز بين تهامة ونجد. (٤)

سافر ابن بطوطة الى بلاد الحجاز من دمشق في مستهل شهر شوال عام(٧٢٦هـ/١٣٢٦م) مع قافلة الحج الشامي، التي ضمت: الأمراء، والقضاة، والفقهاء. وقد عبر عن ذلك بقوله: " ولما استهل شوال من السنة المذكورة خرج الركب الحجازي إلى خارج دمشق ونزلوا القرية المعروفة بالكسوة فأخذت في الحركة معهم، وكان أمير الركب سيف الدين الجوبان من كبار الأمراء»، وقاضيه شرف الدين الأذرعىّ الحوراني..."(٥) وواصلوا مسيرهم باتجاه الحجاز، فوصلوا الى تبوك، وبعد المرور ببلدات عديدة انتهى بهم المطاف في المدينة المنورة، ومسجدها الحرام "(٦).

---

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق: ١/٣١٧-٣١٩.
(٢) المصدر نفسه: ١/٣٢٦-٣٢٧.
(٣) السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م) : ٤/٥٣-٥٤.
(٤) الحموي، معجم البلدان: ٢/٢١٨-٢١٩.
(٥) ابن بطوطة، المصدر السابق: ١/٣٤٣.
(٦) المصدر نفسه: ١/٣٤٣-٣٤٦/٣٤٩.

ثم بدأ ابن بطوطة بوصف معالم المدينة ومسجدها النبوي الشريف، فوصف بناءه، وتاريخ إنشائه، ثم يذكر جزءاً يسيراً من الحياة العلمية في المدينة المنورة بذكر خطباء وأئمة المسجد النبوي، وذكر من جاور في المدينة النبوية من الفقهاء والعلماء، والقراء، منهم الفقيه عبد الله محمد بن فرحون وابناؤه : أبو محمد عبد الله مدرّس المالكية، وأبو عبد الله محمد، وأصلهم من مدينة تونس، وتولى الخطيب والقاضي بالمدينة الشريفة جمال الدين الأسيوطي من أهل مصر، والشيخ ابو العباس ابن مرزوق، والشيخ سعيد المراكشي، والشيخ عيسى بن حرزوز المكناسي، وغيرهم.[١] ثم ذكر حلقات القراء والعلم في المسجد النبوي وكيف يجتمع الناس لقراءة القرآن بقوله:" وكانت إقامتنا بالمدينة الشريفة في هذه الوجهة أربعة أيام، وفي كل ليلة نبيت بالمسجد الكريم، والنّاس قد حلّقوا في صحنه حلقا وأوقدوا الشمع الكثير، وبينهم ربعات القرآن الكريم يتلونه، وبعضهم يذكرون الله، وبعضهم في مشاهدة التربة الطاهرة زادها الله طيبا، والحداة بكل جانب يترنمون بمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما،..."[٢]

ثم ودّع ابن بطوطة المدينة المنورة قاصداً مكة المكرمة فيصلها بعد المرور بعدة بلدات قال في ذلك:" وكان رحيلنا من المدينة، نريد مكة شرفهما الله، فنزلنا بقرب مسجد ذي الحليفة الذي أحرم منه رسول الله (ﷺ) تسليما، والمدينة منه على خمسة أميال،... ثم أدلجنا... إلى البلد الأمين مكة شرفها الله تعالى فوردنا منها على حرم الله تعالى ومبوّأ خليله ابراهيم،..."[٣] ثم يصف أحوال مكة العلمية بنعت المسجد الحرام فيبدأ بذكر مساطب التدريس عند الركن العراقي التي يجلس بها المقرؤون والنساخون بقوله :"ويقابلها المقام مع الركن العراقي، وفضاؤها متصل يدخل من هذا البلاط إليه، ويتصل بجدار هذا البلاط مساطب تحت قسّي حنايا يجلس بها المقرؤون والنساخون والخياطون،..."[٤] وذكر من القراء المجاورين في مكة ابو محمد السروي، الذي كان يقرأ كتاب الشفاء للقاضي عياض بعد صلاة الظهر [٥].

ثم ذكر ابن بطوطة المدارس، والزوايا، والربطات، في مكة المكرمة والعلماء القاطنين بها، منها المدرسة المظفرية القريبة من باب العمرة، التي عمرها السلطان يوسف بن رسول ملك اليمن المعروف بالملك المظفر، والتي سكن فيها ابن بطوطة عند مجاورته بمكة، وزاوية كبيرة عند باب ابراهيم لإمام المالكية، ورباط الموفق التي يقطنها العلماء والشيوخ، وقد نعت ذلك بقوله:" وبمقربة من باب العمرة مدرسة عمّرها السلطان المعظم يوسف ابن رسول ملك اليمن المعروف بالملك المظفر...وبخارج باب إبراهيم زاوية كبيرة فيها دار إمام المالكية الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المدعو بخليل،...، وبإزاء هذا الباب عن يمين الداخل إليه كان يقعد الشيخ العابد جلال الدين محمد بن أحمد الأقشهري،...، وعنده أيضا دار الشيخ الصالح دانيال العجمي...، وبمقربة منه رباط الموفّق، وهو من أحسن الرّباطات،

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق: ١/٣٥٦-٣٥٨.
(٢) المصدر نفسه: ١/٣٦٣.
(٣) المصدر نفسه: ١/٣٦٤/٣٦٧.
(٤) المصدر نفسه: ١/٣٧١.
(٥) المصدر نفسه: ١/٣٥٩.

وسكنته أيام مجاورتي بمكة العظيمة، وكان به في ذلك العهد الشيخ الصالح أبو عبد الله الزواوي المغربي، وسكن به أيضا الشيخ الصالح الطيار سعادة الجوّاني،...، وسكن به الشيخ الصالح شمس الدين محمد الشامي نحوا من أربعين سنة، وسكن به الشيخ الصالح شعيب المغربي..."[١] ثم ذكر اعلام مكة وعلماؤها ومحدثيها، وقراؤها الذين كان بعظهم يعظ الناس عند الكعبة، وبعظهم يعلم الإيتام، وبعظهم يقطن المدرسة المظفرية، وعبر عن ذلك بقوله:" ومن أعلام مكة إمام الشافعية شهاب الدين ابن البرهان، ومنهم إمام الحنفية شهاب الذين أحمد بن علي من كبار أئمة مكّة،... ومنهم إمام الحنابلة المحدث الفاضل محمد بن عثمان البغدادي الأصل المكي الولد،... ومنهم الفقيه الصالح زين الدين الطبري...، ومنهم الفقيه المبارك محمد بن فهد الشرقي من فضلاء مكة ...، ومنهم العدل الصالح محمد بن البرهان،... ومنهم الامام العالم الصالح...الشهير باليافعي...، وكان إذا طاف من الليل يصعد إلى سطح المدرسة المظفرية فيقعد مشاهدا للكعبة الشريفة إلى أن يغلبه النوم... ومنهم الصالح العابد نجم الدين الأصفونيّ... ومنهم الشيخ الصالح برهان الدين العجمي الواعظ كان ينصب له كرسي تجاه الكعبة الشريفة فيعظ الناس ويذكرهم ... "[٢].

٥- المؤسسات التربوية في العراق وبلاد فارس:

لم تطل إقامة أبن بطوطة في مكة المكرمة بقدر تعلق الأمر بتأدية فريضة الحج، فقد فارقها في ٢٠ ذي الحجة سنة(٧٢٨هـ/ ١٣٢٦م)، وكانت وجهته صوب العراق، وبلاد فارس حيث خرج بصحبة أمير ركب العراق المعروف بالبهلوان،[٣] وقد عبر عن ذلك بقوله:" :"وفي الموفى عشرين لذى الحجة خرجت عن مكة صحبة أمير ركب العراق البهلوان محمد الحويح بحاءين مهملين، وهو من أهل الموصل"[٤].

ولا يزال الركب مستمر في تنقله من بلدة الى أخرى حتى يبلغ مشارف العراق ليصل الى القادسية، ثم يعدو الى النجف، فيتوقف عندها ليسجل ملاحظاته ومعايناته ويخبرنا عن ملامح الحياة فيها فيصف معالمها، وأسواقها وأبوابها، ومن تلك الأبواب باب الحضرة الذي أخبرنا أنه بإزائه مدارس، وزوايا، وخوانق، معمورة بأحسن وأجمل أنواع العمارة فيصف حيطانها بالقاشاني وهو الفخار الملون المشرق المنقوش، وقد عبر عن ذلك بقوله:" ثم رحلنا منها [أي القادسية] فنزلنا...بالنّجف، وهي مدينة حسنة ...، دخلناها من باب الحضرة ...، وبإزائه المدارس والزوايا والخوانق معمورة أحسن عمارة وحيطانها بالقاشاني، وهو شبه الزّليج عندنا، لكن لونه أشرق ونقشه أحسن "[٥] ثم يصف لنا حال المدرسة التي بقرب باب الحضرة وذكر أنه فيها

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق: ١/٣٧٨-٣٧٩/٣٨٨.
(٢) المصدر نفسه: ١/٣٨٩-٣٩٢.
(٣) مؤنس، حسين، ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل، (دار المعارف، القاهرة، د.ت) : ٧٢.
(٤) ابن بطوطة، المصدر السابق: ١/٤١١.
(٥) المصدر نفسه:١/٤٢١.

مكاناً لسكن الطلبة، وفيه ضيافة ثلاثة أيام للوارد اليها من الخبز واللحم والتمر، قال:" ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة، ولكل وارد عليها ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر مرتين في اليوم، ومن تلك المدرسة يدخل إلى باب القبة..."(١).

يواصل أبن بطوطة مسيره باتجاه مدينة البصرة، فيدخل مدناً وبلدات مختلفة حتى يبلغ مدينة واسط، ليخبرنا عن مدرسة عظيمة في هذه المدينة وهي مدرسة الشيخ تقي الدين الواسطي، ويصف معالمها واحوالها ويذكر انه فيها ثلاثمائة خلوة لمن يريد تعلم القران من الغرباء يعطى فيها المتعلم كسوة، ونفقة، ويزود بالطعام، قال في ذلك :" وسافرت إلى البصرة صحبة رفقة كبيرة من عرب خفاجة...ثم وصلنا مدينة واسط... وبها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاث مائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعلّم القرآن، عمّرها الشيخ تقيّ الدين بن عبد المحسن الواسطيّ، وهو من كبار أهلها وفقهائها ويعطي لكلّ متعلّم بها كسوة في السنة ويجرى له نفقته في كلّ يوم ويقعد هو واخوانه وأصحابه لتعليم القرآن بالمدرسة،..."(٢).

وعند وصول ابن بطوطة الى مدينة البصرة قدم لنا وصفاً لمعالمها وأحوالها، واسواقها، ثم ذكر لنا مؤسسة تربوية في وسط البصرة وهو مسجد علي بن ابي طالب، إلا أنه رغم اتساعه وحسن بنائه معطل عن الاستخدام العلمي باستثناء خطبة الجمعة، والتي سجل لنا ابن بطوطة عند حضورها الكثير من اللحن في لسان خطيبها، وقد عزا ذلك الى قلة أهل العلم والعلماء في هذه البلدة وخاصة في النحو. ثم يصف لنا في البصرة بعض الزوايا المبنية على القبور والمشاهد، كمشهد طلحة بن عبيد الله، ومشهد الزبير بن العوام رضي الله عنهم. وقد عبر عن ذلك بقوله:" ثم رحلنا فدخلنا ضحوة النهار إلى مدينة البصرة... وكنت رأيت عند قدومي عليها...بناء عالّما مثل الحصن، فسألت عنه فقيل لي هو مسجد علي بن أبي طالب،... وهم يصلّون الجمعة في مسجد أمير المومنين ...الذي ذكرته، ثم يسدّ فلا يأتونه إلا في الجمعة... وهذا المسجد من أحسن المساجد، وصحنه متناهي الانفساح مفروش بالحصباء الحمراء... شهدت مرة بهذا المسجد صلاة الجمعة فلما قام الخطيب به إلى الخطبة وسردها لحن فيها لحنا كثيرا جليا فعجبت من أمره وذكرت ذلك للقاضي حجّة الدين فقال لي: إن هذا البلد لم يبق به من يعرف شيئا من علم النحو!..."(٣).

ثم أراد ابن بطوطة زيارة بغداد لكنه لا يسلك في سفره إليها وسط العراق إنما يتوجه الى بلاد العجم حتى يصل إليها ويذكر في مشاهداته كثرة الزوايا في هذه البلاد قال في ذلك :" وكنت أحبّ قصد بغداد العراق فأشار عليّ بعض أهل البصرة بالسفر إلى أرض اللّور ثم إلى عراق العجم، ثم إلى عراق العرب، فعملت بمقتضى إشارته،..."(٤) يمر ابن بطوطة في رحلته في العديد من البلدات حتى يصل الى مدينة تستر من بلاد الجبال فيصف بنيانها وينعت

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق:١/٤٢١.
(٢) المصدر نفسه:٢/٧-٩.
(٣) المصدر نفسه: ٢/١١-١٤.
(٤) المصدر نفسه: ٢/١٨.

محاسنها وأوصافها فيذكر فيها مدرسة وزاويا للشيخ شرف الدين موسى ويذكر لنا احوالها ومعالمها والنفقات فيها والطعام والسقاية التي تقدم للوافدين إليها وكيفية التدريس والوعظ فيها، قال :" وكان نزولي من مدينة تستر في مدرسة الشيخ الامام الصالح المتفنّن شرف الدين موسى بن الشيخ الصالح الامام العالم صدر الدّين سليمان،...، وله مدرسة وزاوية،...وهذا الشيخ من أحسن الناس صورة، وأقومهم سيرة، وهو يعظ الناس بعد صلاة الجمعة بالمسجد الجامع ولمّا شاهدت مجالسه في الوعظ صغر لدى كلّ واعظ رأيته قبله بالحجاز والشام ومصر، ولم ألق فيمن لقيتهم مثله، حضرت يوما عنده ببستان له على شاطئ النهر وقد اجتمع فقهاء المدينة وكبراؤها...، وقام خطيبا وواعظا...، وخطب خطبة بسكون ووقار، وتصرّف في فنون العلم من تفسير كتاب الله وايراد حديث رسول الله والتكلم على معانيه، ثم ترامت عليه الرّقاع من كل ناحية... وأخذ يجيب عنها واحدة بعد واحدة بأبدع جواب وأحسنه...وكان مجلسه مجلس علم ووعظ وبركة، ... "[١].

ثم اتجه ابن بطوطة من تستر الى مدينة إيذج التي يكثر فيها الزوايا بشكل كبير جداً والتي بلغت قرابة (٤٤) زاوية، فيصف احوالها ومعالمها وشيوخها، وكيف دأب ملوكها على بناء الزوايا والمدارس، وكثرة نفقاتهم عليها قال:" ثم سافرنا من مدينة تستر..، ووصلنا إلى مدينة إيذج،...، وعند وصولي إليها اجتمعت بشيخ شيوخها العالم الوارع نور الدين الكرماني وله النظر في جميع الزوايا، وهم يسمّونها المدرسة، والسلطان يعظّمه ويقصد زيارته،...، فأكرمني وأضافني وأنزلني بزاوية تعرف باسم الدّينوري... وملك إيذج في عهد دخولي إليها السلطان أتابك أفراسياب ابن السلطان أتابك أحمد،...، وكان أحمد المذكور ملكا صالحا سمعت من الثقات ببلاده أنه عمّر أربعمائة وستين زاوية ببلاده، منها بحضرة إيذج أربع وأربعون، وقسم خراج بلاده أثلاثا فالثلث منه لنفقة الزوايا والمدارس... "[٢] كما ذكر لنا مدرسة أخرى في هذه البلدة وهي على أربعة أميال من إيذج وهي مدرسة هَلاَفِيجان قال:" بموضع يقال له (هلافيجان) على أربعة أميال من المدينة، وهنالك مدرسة عظيمة، يشقّها النهر، وبداخلها مسجد تقام فيه الجمعة وبخارجها حمّام ويحفّ بها بستان عظيم وبها الطعام للوارد وللصادر،..."[٣] .

ثم رحل من إيذج ونزل بمدرسة السلاطين، ثم بعد عشرة ايام من الإقامة فيها نزل بمدرسة كِرِيوْ الرّخ، قال:" ثم كان رحيلي من حضرة إيذج بعد أيام فنزلت بمدرسة السلاطين..، وأقمت بها أياما،...عشرة أيام.. وفي اليوم العاشر نزلنا بمدرسة تعرف بمدرسة كريو الرّخ..."[٤]

ثم واصل مسيره وقطع بلدات كثيرة حتى وصل الى مدينة اصفهان فذكر مساجدها وزواياها، ثم وصل الى مدينة شيراز فوصف احوالها، واسواقها، وصناعاتها، حتى ذكر

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق: ٢/٢٢-٢٣.
(٢) المصدر نفسه: ٢/٢٤.
(٣) المصدر نفسه: ٢/٢٧.
(٤) المصدر نفسه: ٢/٢٨.

مسجدها الأعظم المعروف بالمسجد العتيق ونعت اوصافه واحواله والدروس التي تقام فيه وذكر اجتماع الألوف من النساء الشيرازيات وهن مجتمعات لسماع الوعظ في هذا الجامع وهن متلحفات، متبرقعات، ثم يذكر المدرسة المجْدية في هذه المدينة وكبار الفقهاء في المدرسة وطلاب العلم، قال في ذلك:" ثم سافرنا منها إلى مدينة شيراز... ومسجدها الأعظم يسمى بالمسجد العتيق وهو من أكبر المساجد ساحة وأحسنها بناء،...وأهل شيراز أهل صلاح ودين وعفاف وخصوصا نساءها، وهنّ يلبسن الخفاف ويخرجن متلحّفات متبرقعات، فلا يظهر منهن شيء ولهن الصّدقات والإيثار، ومن غريب حالهن أنهن يجتمعن لسماع الواعظ في كلّ يوم اثنين وخميس وجمعة بالجامع الأعظم، فربّما اجتمع منهن الألف والألفان بايديهن المراوح يروّحن بها على أنفسهنّ من شدّة الحرّ، ولم أر اجتماع النساء في مثل عددهنّ في بلدة من البلاد! وعند دخولي إلى مدينة شيراز لم يكن لي همّ الا قصد الشيخ القاضي الامام قطب الأولياء فريد الدهر ذي الكرمات الظاهرة مجد الدين إسماعيل بن محمد بن خذاداد...فوصلت إلى مدرسته المجديّة المنسوبة اليه، وبها سكناه وهي من عمارته فدخلت إليه رابع أربعة من أصحابي، ووجدت الفقهاء وكبار أهل المدينة في انتظاره فخرج إلى صلاة العصر... ثم قرىء بين يديه من كتاب المصابيح، وشوارق الأنوار للصاغاني، ...، وأمر خدّامه فأنزلوني بدويرة صغيرة بالمدرسة "[1].

كما ذكر المشاهد التي بني عليها مدارس وزوايا في مدينة شيراز منها مشهد أحمد بن موسى الذي بنت عليه طاش خاتون أم السلطان أبى اسحاق مدرسة كبيرة وزاوية والتي يجتمع فيها الشرفاء والفقهاء مع ما يقارب الف واربعمائة شخص يتناولون فيها الطعام ويقرأون القران ويستمعون الى المواعظ، ومشهد أبي عبد الله ابن خفيف المعروف عندهم بالشيخ الذي بنيت عليه زاوية ومدرسة، ومشهد شمس الدين السمناني الذي فيه زاوية وتتصل به مدرسة يجتمع بها القضاة والفقهاء ويفعلون به ما يفعلون في مشهد احمد [2].

ومن مدينة شيراز اجتاز ابن بطوطة مدن عدة حتى يصل عراق العرب ويبلغ مدينة الكوفة فيذكر جامعها الأعظم، والزوايا فيها، ثم يتجه الى مدينة الحلة، ثم يصل الى مدينة كربلاء فيذكر مدرستها وبعض الزوايا فيها، قال:" ثمّ سافرنا منها إلى مدينة كربلاء... وعليها مدرسة عظيمة، وزاوية كريمة،..."[3].

ثم بلغ مقصده الذي كان يبتغيه وهي مدينة السلام بغداد عام(٧٢٧هـ/ ١٢٧٣م) فنعتها بنعوت جميلة، واوصاف جليلة، تليق بمكانتها وذكر محاسنها، ومعالمها، فصف جانبيها الغربي والشرقي ثم ذكر المدراس فيها، ومنها المدرسة النظامية، والمدرسة المستنصرية، وكيفية جلوس المدرس فيها للتدريس، ولباسه، واحوال الطلاب في هذه المدارس، ثم ذكر الجوامع في مدينة بغداد، وكيفية تحصيل العلم فيها، واشهر شيوخها والمعلمين فيها، ثم ذكر كيفية

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق: ٢/٣٤-٣٧.
(٢) المصدر نفسه: ٢/٤٧-٥٠.
(٣) المصدر نفسه: ٢/٥٤-٥٧.

تحصيله للعلم في جامع الخليفة في رجب سنة(٧٢٧هـ/١٢٧٣م) وسماعه مسند الدارمي على يد الشيخ سراج الدين القزويني. قال ابن بطوطة في وصف احوال بغداد الثقافية والعلمية، وذكر مؤسساتها التربوية:" وببغداد من المساجد التي يخطب فيها وتقام فيها الجمعة أحد عشر مسجدا، منها بالجانب الغربيّ ثمانية وبالجانب الشرقيّ ثلاثة والمساجد سواها كثيرة جدّا وكذلك المدارس إلا أنها خربت...، وفي وسط هذا السوق المدرسة النّظاميّة العجيبة التي صارت الأمثال تضرب بحسنها، وفي آخره المدرسة المستنصرية،...، وبها المذاهب الاربعة، لكلّ مذهب إيوان فيه المسجد، وموضع التدريس وجلوس المدرّس في قبّة خشب صغيرة على كرسيّ عليه البسط، ويقعد المدرس وعليه السكينة والوقار لا بسا ثياب السواد معتما، وعلى يمينه ويساره معيدان يعيدان كلّ ما يمليه، وهكذا ترتيب كلّ مجلس من هذه المجالس الاربعة، وفي داخل هذه المدرسة الحمّام للطلبة ودار الوضوء... وبهذه الجهة الشرقيّة من المساجد التي تقام فيها الجمعة ثلاثة: أحدها جامع الخليفة وهو متّصل بقصور الخلفاء ودورهم وهو جامع كبير فيه سقايات ومطاهر كثيرة للوضوء والغسيل، لقيت بهذا المسجد الشيخ الامام العالم الصالح مسند العراق سراج الدين...القزويني، وسمعت عليه فيه جميع مسند...الدّارمي، وذلك في شهر رجب الفرد عام سبعة وعشرين وسبعمائة ... والجامع الثاني جامع السلطان وهو خارج البلد وتتّصل به قصور تنسب للسلطان، والجامع الثالث جامع الرصافة وبينه وبين جامع السلطان نحو الميل "[١].

ثم سافر ابن بطوطة من بغداد بصحبة الأمير علاء الدين الى بلدة تبريز ليصف لنا بعض مدارسها وزواياها منها مدرسة وزاويا على قبر قازان ملك العراق، ويصف المسجد الجامع الذي عمره الوزير علي شاه المعروف بجيلان والذي يحده من اليمين مدرسة ومن اليسار زاويا.[٢] وبقي فيها شهرين ثم رجع الى بغداد وكان يبتغي بلوغ مدينة الموصل وتصوير معالمها وفي طريقه الى الموصل يزور الدجيل، وسامراء، وتكريت، والقيارة، ثم يبلغ مدينة الموصل الحدباء فيصف حسن اتقانها ومساجدها بقوله:" وللموصل ربض كبير فيه المساجد والحمّامات والفنادق والاسواق، وبه مسجد جامع على شطّ الدجلة... وبداخل المدينة جامعان أحدهما قديم والآخر حديث،... "[٣].

خرج ابن بطوطة من الموصل قاصداً مدينة نصيبين التي يدخلها ويصف لنا معالمها الحضارية ومؤسساتها التربوية، فيذكر أنها تضم مسجداً، ومارستان ومدرستين، إلا أنه لا يخبرنا عن طبيعة هذه المدارس ولا طريقة التدريس فيه، عبر عن ذلك بقوله:" ثم رحلنا منها مرحلتين ووصلنا إلى مدينة نصيبين،...وبهذه المدينة مارستان ومدرستان،..."[٤].

---

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق: ٢/٦١-٦٥.
(٢) المصدر نفسه: ٢/٧٥-٧٨.
(٣) المصدر نفسه: ٢/٨١.
(٤) المصدر نفسه: ٢/٨٤-٨٥.

ومن نصيبين يتجه صوب مدينة سنجار ليخبرنا عن أحوالها الثقافية، حيث يذكر أنها مدينة كبيرة فيها مسجد جامع مشهور، ثم يذكر أحد علمائها ومشايخها من الكرد، قال:" ثمّ رحلنا إلى مدينة سنجار، وهي مدينة كبيرة...، ومسجدها الجامع مشهور البركة،...وممّن لقيته بها الشيخ الصالح العابد الزاهد عبد الله الكرديّ أحد المشايخ الكبار..." (١).

وفي عام(٧٢٨هـ/١٣٢٨م) توجه أبن بطوطة من العراق الى مكة المكرمة لتأدية فريضة الحج للمرة الثانية، وأقام تلك السنة بالمدرسة المظفرية، وطال مكوثه بمكة حتى عام (٧٣٠هـ/١٣٣٠م)، قال:" ولمّا انقضى الحجّ أقمت مجاورا بمكّة حرسها الله سنة ثلاثين،..."(٢).

٦- المؤسسات التربوية في بلاد اليمن وسلطنة عمان:

بعد السنوات التي قضاها ابن بطوطة في مكة المكرمة يخرج منها سنة(٧٣٠هـ/١٣٣٠م) قاصداً بلاد اليمن عن طريق البحر فاتجه الى جدة، ومنها الى جزيرة سواكن حتى يصل مدينة حَلِي التي تقع على الطريق بين مكة وصنعاء، فوصف لنا حسن عمارتها، وجمال بنيانها، ومؤسساتها العلمية، وذكر منها جامعها الذي يجتمع فيه الناس بعد صلاة العصر للذكر حتى المغرب، قال:" وبعد ستّة أيّام من خروجنا عن جزيرة سواكن وصلنا إلى مدينة حلي... وهي كبيرة حسنة العمارة...، وجامع هذه المدينة من أحسن الجوامع وفيه جماعة من الفقراء المنقطعين إلى العبادة منهم الشيخ الصالح العابد الزاهد قبولة الهنديّ من كبار الصالحين، لباسه مرقّعة وقلنوسة لبد،...، ويسمع به أصحابه فيأتي كلّ واحد منهم بما حضره من غير تكلّف شيء وإذا صلّوا العصر اجتمعوا للذّكر بين يدي الشيخ إلى صلاة المغرب..."(٣).

ثم واصل مسيره حتى وصل مدينة زبيدة فوصف عمارتها، وبناءها، وأخبرنا عن أشهر فضلائها، وعلمائها، وفقهائها، ومحدثيها، المقيمين في المساجد والزوايا، ثم ذكر لقائه بهم، واجتماعه معهم، قال في ذلك:" وعلماء تلك البلاد وفقهاؤها أهل صلاح ودين وأمانة ومكارم وحسن خلق، ولقيت بمدينة زبيد الشيخ العالم الصالح أبا محمّد الصنعانيّ، والفقيه الصوفي المحقّق أبا العباس الأبيانيّ، والفقيه المحدّث أبا عليّ الزّبيديّ، ونزلت في جوارهم فأكرموني وأضافوني، ودخلت حدائقهم واجتمعت عند بعضهم بالفقيه القاضي العالم أبي زيد عبد الرحمن الصوفي أحد فضلاء اليمن ووقع عنده ذكر العابد الزاهد الخاشع أحمد بن العجيل اليمنيّ وكان من كبار الرجال وأهل الكرامات"(٤) .

استمر ابن بطوطة في توغله، وتخلله للمدن والبلدان حتى وصل الى جبلة ثم الى تعز، ثم الى صنعاء، ثم الى عدن، ولكنه لا يكاد يذكر لنا في هذه البلدان إلا قليلاً من المؤسسات التي يتعلم بها الناس، ثم يركب البحر حتى يبلغ مَقْدَيشَوْ التي ذكر لنا ابن بطوطة أنها تضم دار يقيم فيها الطلاب، ويُقدم لهم فيها الطعام، والكسوة، قال:" ولمّا وصلت مع القاضي...ابن

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق: ٢/٨٦.
(٢) المصدر نفسه: ٢/٨٨-٩١.
(٣) المصدر نفسه: ٢/١٠١-١٠٢.
(٤) المصدر نفسه: ٢/١٠٥-١٠٦.

البرهان المصريّ الاصل، إلى دار السلطان...وقال: إن مولانا أمر أن ينزل بدار الطلبة وهي دار معدّة لضيافة الطلبة، فأخذ القاضي بيدي، وجئنا إلى تلك الدار وهي بمقربة من دار الشيخ مفروشة مرتّبة بما تحتاج إليه،..."(١).

ثم واصل ابن بطوطة المسير ماراً ببلدات عدة حتى يبلغ مدينة ظفار فيصف احوالها، وذكر معالمها وعمرانها، فذكر فيها جملة من المساجد والزوايا والمشايخ المقيمين فيها، قال عنها:" وهي كثيرة المساجد، ولهم في كلّ مسجد مطاهر كثيرة معدّة للاغتسال،... وبقرب من هذه المدينة بين بساتينها زاوية الشيخ الصالح العابد أبي محمّد بن أبي بكر عيسى من أهل ظفار، وهذه الزاوية معظمة عندهم... وهنالك زاوية ومسجد علي ساحل البحر وحوله قرية لصيّادي السمك..."(٢).

٧- المؤسسات التربوية في بلدان آسيا الصّغرى:

طاف ابن بطوطة البلدان، وقطع الفيافي ثم عاود أدراجه قاصداً بلاد الحجاز لتأدية فريضة الحج للمرة الثالثة، ثم انطلق منها صوب بلاد الشام قاصداً بلاد آسيا الصغرى التي تعرف باسم الأناضول، وتُمثّل في العصر الحالي القسم الآسيويّ التابع لتركيا، ليسجل لنا، ويدون الكثير عن أحوال تلك البقعة من العالم الإسلامي، ويصف أحوالها، ويبرز معالمها الثقافية والعلمية، ويحدثنا عن مؤسساتها التربوية. حتى يبلغ مدينة أَنْطَالِية في تركيا التي يقطنها المسلمون من التركمان فيصف حسنها، وسعة أتساعها، ثم يذكر عمرانها ومؤسساتها، ومن ذلك المسجد الجامع، والمدرسة، ثم يذكر نزولها بها، وشيخها شهاب الدين الحموي، وكيفية التدريس فيها فيقول:" وسافرت من هنالك إلى مدينة أنطالية،... وهي من أحسن المدن... وأكثرها عمارة وأحسنه ترتيباً،... وبها مسجد جامع ومدرسة وحمّامات كثيرة... ونزلنا من هذه المدينة بمدرستها، وشيخها شهاب الدين الحمويّ، ومن عادتهم أن يقرأ جماعة من الصبيان بالأصوات الحسان بعد العصر من كلّ يوم في المسجد الجامع وفي المدرسة أيضا سورة الفتح وسورة الملك وسورة عمّ "(٣).

واخبرنا عن جامع ومدرسة في مدينة أَكْرِيدُور ووصف لنا معالمها وعمارتها واشهر مدرسيها، وكيفية التدريس فيها بقوله:" وسافرنا منها إلى مدينة أكريدور،...، مدينة عظيمة كثيرة العمارة،...ونزلنا منها بمدرسة تقابل الجامع الأعظم بها المدرس العالم الحاجّ المجاور الفاضل مصلح الدين،... وسلطانها...أبن الدّنداربك،..، وله سير حسنة، ومن عادته أنه يأتي كل يوم إلى صلاة العصر بالمسجد الجامع فإذا قضيت صلاة العصر استند إلى جدار القبلة وقعد القرّاء بين يديه على مصطبة خشب عالية فقرأوا سورة الفتح والملك وعمّ،..."(٤).

---

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق: ١١٦/٢.
(٢) المصدر نفسه: ١٢٤/٢-١٢٦.
(٣) المصدر نفسه:١٦٢/٢-١٦٣.
(٤) المصدر نفسه:١٦٧/٢.

كما تطرق الى مدرسة قُونْية للقطب جلال الدين الرومي وذكر مجلس تدريسها وطلابها، بقوله:" يذكر أنّه كان في ابتداء امره فقيها مدرّسا يجتمع اليه الطلبة بمدرسته بقونية...، فكان الطلبة يتبعونه ويكتبون ما يصدر عنه من ذلك الشعر، وألّفوا منه كتابا سمّوه المثنوي، وأهل تلك البلاد يعظّمون ذلك الكتاب ويعتبرون كلامه، ويعلّمونه ويقرءونه بزواياهم..."(١).

وذكر من مدارس تلك البلاد مدرسة دار السيادة في بلدة سِيواس، قال:" ثمّ سافرنا إلى مدينة سيواس،..وبها دار مثل المدرسة تسمّى دار السيادة لا ينزلها الّا الشرفاء، ونقيبهم ساكن بها وتجرى لهم فيها مدّة مقامهم الفرش والطعام والشمع وغيره فيزوّدون إذا انصرفوا" (٢).

كما ابلغنا عن مدرسة وزاوية في مدينة بِركي، وذكر هيئتها وأشهر مدرسيها، وكيفية التدريس فيها، فقال:" ثم انصرفنا إلى مدينة بِرْگي...، وكنّا قد تعرّفنا أن بهذه المدينة مدرّسا فاضلا يسمّى بمحي الدين، فأتى بنا ذلك الرجل الذي بتنا عنده وكان من الطلبة إلى المدرسة، وإذا بالمدرّس قد أقبل راكبا على بغلة فارهة، ومماليكه وخدّامه عن جانبيه، والطلبة بين يديه وعليه ثياب مفرّجة حسان مطرّزة بالذهب...، ثم جاء القاضي عزّ الدين فرشتى،...، فقعد عن يمين المدرّس وأخذ في تدريس العلوم الأصليّة والفرعيّة ثم لمّا فرغ من ذلك أتى دويرة بالمدرسة فأمر بفرشها وأنزلني فيها..."(٣).

وعند سفره الى مدينة قَصْطَمُونِية ذكر لنا عدداً من الزوايا، وشيوخها وهيئة التدريس فيها، ومدرسة الفنيكي بسوق الخيل، بقوله: "وسافرنا بالغد إلى مدينة قصطمونية،...نزلنا منها بزاوية شيخ يعرف بالأطرش لثقل سمعه، ورأيت منه عجبا، وهو أن أحد الطلبة كان يكتب له في الهواء وتارة في الأرض بأصبعه، فيفهم عنه، ويجيبه، ويحكي له بذلك الحكايات فيفهمها...ولقيت بها الشيخ الامام العالم المفتي المدرس تاج الدين السلطانيوكي من كبار العلماء،...ولقيت بها العالم المدرس صدر الدين سليمان الفنيكي،...، وأضافني بمدرسته التي بسوق الخيل، ولقيت بها الشيخ المعمّر الصالح دادا أمير علي دخلت عليه بزاويته بمقربة من سوق الخيل..."(٤).

كما ذكر مدارسة خوارزم التي عمرها الأمير قطلودمور، ومدرسة زمخشر، والمساجد الجامع في خوارزم وزواياها وأشهر الشيوخ المدرسين في هذه البلدة، بقوله:" وصلنا إلى خوارزم، وهي أكبر مدن الأتراك...وتوجهت إلى المسجد الجامع والمدرسة، وهذه المدينة تحت إمرة السلطان أوزبك، وله فيه أمير كبير يسمى قطلودمور، وهو الذي عمّر هذه المدرسة وما معها من المواضع المضافة، وأما المسجد فعمرته زوجته الخاتون الصالحة ترابك... وبخارج خوارزم زاوية مبنية على تربة الشيخ نجم الدين الكبرا،...، وشيخها المدرس سيف الدين ابن عصبة من كبار أهل خوارزم، وبها أيضا زاوية شيخها الصالح المجاور جلال الدين

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق:٢/١٧٥.
(٢) المصدر نفسه:٢/١٦٩.
(٣) المصدر نفسه:٢/١٨٤.
(٤) المصدر نفسه:٢/٢٠٦.

السمرقندي...، وزمخشر: قرية على مسافة أربعة أميال من خوارزم،... أتيت هذه المدينة نزلت بخارجها...ونزلنا بمدرسة جديدة ليس بها أحد،..."[١]

كما ذكر لنا احوال مدينة بخارى وما آلت إليها الأحوال العلمية، والتي دب بها الخراب وقل الاهتمام بالعلم في تلك الفترة كما وصف لنا ذلك بقوله:" ووصلنا إلى مدينة بخارى التي ينسب إليها أمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري،...، فمساجدها الآن ومدارسها وأسواقها خربة إلا القليل،..، وليس بها اليوم من الناس من يعلم شيئا من العلم ولا من له عناية به" [٢]

٨- المؤسسات التربوية في بلاد خراسان:

ووصف لنا ابن بطوطة أحوال مدينة بلخ وهيئة مدارسها ومساجدها والتي نعتها بأنها خربة، وخاوية على عروشها، رغم اتقان وضخامة العمران فيها من مساجد ومدارس، قال:" ثم أجزنا نهر جيحون إلى بلاد خراسان، وسرنا بعد انصرافنا من ترمذ...إلى مدينة بلخ، وهي خاوية على عروشها غير عامرة، ومن رآها ظنها عامرة لإتقان بنائها وكانت ضخمة فسيحة، ومساجدها ومدارسها باقية الرسوم حتى الآن ونقوش مبانيها مدخلة بأصبغة اللّازورد،..."[٣]

ثم ذكر مدرسة، ومسجداً، وزاوية في مدينة مشهد، ونعتها بقوله:" ورحلنا منها إلى مدينة مشهد الرضا...وعليه قبّة عظيمة في داخل زاوية وتجاورها مدرسة ومسجد، وجميعها مليح البناء مصنوع الحيطان بالقاشاني،...[٤].

كما وصف لنا ابن بطوطة حسن اتقان وبناء مدارس مدينة نيسابور ومساجدها، ثم ذكر لنا أربعاً من مدارس تلك البلد، ووصف لنا أحوالها، وحسنها، وكيفية التدريس فيها، قال:" فوصلنا إلى مدينة نيسابور،...ومسجدها بديع...ويليه أربع من المدارس...، وفيها من الطلبة خلق كثير يقرءون القرآن والفقه وهي من حسان مدارس تلك البلاد....وفي هذه المدينة زاوية الشيخ الإمام العالم القطب العابد قطب الدين النيسابوري أحد الوعاظ العلماء...[٥].

ثم ذكر لنا ابن بطوطة في معرض حديثه عن مدارس نيسابور مدرسة يرى أنها تفوق بحسنها وإتقانها مدارس خراسان، ومدارس العراق، ومدارس دمشق، ومدارس مصر، ألا وهي مدرسة فاس، قال :" ومدارس خراسان والعراقين ودمشق وبغداد ومصر، وإن بلغت الغاية من الإتقان والحسن فكلها تقصر عن المدرسة التي عمّرها مولانا ...أبو عنان ...فإنها لا نظير لها سعة وارتفاعا، ونقش الجص بها لا قدرة لأهل المشرق عليه.."[٦].

---

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق:٣/١١-١٣.
(٢) المصدر نفسه:٣/١٧.
(٣) المصدر نفسه:٣/٤١-٤٢.
(٤) المصدر نفسه:٣/٥٢-٥٣.
(٥) المصدر نفسه:٣/٥٦.
(٦) المصدر نفسه:٣/٥٦-٥٧.

٩- المؤسسات التربوية في بلاد الهند والسند:

وفي شهر محرم عام (٧٣٤هـ/١٣٣٣م) قصد ابن بطوطة بلاد الهند فمر بالعديد من البلدان وقدم لنا معلومات وافية عن تلك البلاد المجهولة، وأخبرنا عن الكثير من أحوالها، قال:" ولما كان بتاريخ الغرّة من شهر الله المحرم مفتتح عام أربعة وثلاثين وسبعمائة وصلنا إلى وادي السند المعروف ببنج آب..."(١).

وكان من المدن التي مر بها مدينة سيوستا، فاخبرنا عن الزوايا والمدارس فيها بقوله:" ثم سافرنا من مدينة جناني إلى أن وصلنا إلى مدينة سيوستان... ولقيت بها أيضا الشيخ المعمّر محمد البغدادي، وهو بالزاوية التي على قبر الشيخ الصالح عثمان المرندي... ونزلت بتلك المدينة إثر هذه الوقيعة بمدرسة فيها كبيرة، وكنت أنام على سطحها فإذا استيقظت من الليل أرى تلك الجلود المصلوبة فتشمئز النفس منها، ولم تطب نفسي بالسكنى بالمدرسة، فانتقلت عنها..."(٢).

وصل ابن بطوطة الى مقصده في بلاد الهند فيصل الى مدينة دِهْلِي ليخبرنا عن أحوالها، ومعالمها، ومؤسساتها، وذكر جامعها ووصفه وصفاً دقيقاً، ثم ذكر اشهر علماء هذه البلدة وصلحاءها، قال:" وفي غد ذلك اليوم وصلنا إلى حضرة دهلي قاعدة بلاد الهند...، وجامع دهلى كبير الساحة،..." ؛ ثم ذكر بعض علماءها وصلحاءها فقال: "فمنهم الشيخ الصالح العالم محمود الكبّا...، ومنهم الشيخ الصالح العالم علاء الدين النّيلي... كان من أصحاب الشيخ العالم الصالح نظام الدين البذاوني، وهو يعظ الناس في يوم كل جمعة.... ومنهم الشيخ الصالح العالم صدر الدين الكهراني،..."(٣).

طاف ابن بطوطة في العديد من مدن وبلدان الهند وفي السابع عشر من شهر صفر عام(٧٤٣هـ/ ١٣٤٣م) خرج من دهلي قاصداً الجنوب الهندي في جزر المالديف، وسيلان، والبنغال، فيمر بالكثير من البلدان والمدن ويصور لنا أحداثها ومعالمها، حتى يبلغ مدينة هِيلِي، ليخبرنا عن حسن العمارة فيها، وذكر لنا مسجدها الجامع، وكيف يجتمع الطلبة فيه لتلقي العلوم، وكيف تجري عليهم المرتبات والأرزاق، ثم ذكر لقاءه ببعض العلماء والفقهاء في هذا المسجد قال:" ثم سافرنا إلى مدينة هيلي،... ومدينة هيلي معظمة عند المسلمين والكفّار بسبب مسجدها الجامع،...وبهذا المسجد جماعة من الطلبة يتعلمون العلم ولهم مرتبات من مال المسجد، ... ولقيت بهذا المسجد فقيها صالحا من أهل مقدشو يسمى سعيدا،..."(٤).

١٠- المؤسسات التربوية في جنوب شرق أسيا والصين:

ثم توجه ابن بطوطة نحو الجزء الجنوبي الشرقي من آسيا والصين، ليصف لنا أحوالها، وأثارها فدخل جزيرة جاوة التي تقع حالياً في إندونيسيا، وذكر أحولها وسلطانها، وأخبرنا عن مؤسسة من نوع أخر للتعليم في تلك البلاد وهي بلاط السلاطين وقد ذكر كيف جعل سلطان

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق:٣/٧١.
(٢) المصدر نفسه:٣/٨٠-٨٢.
(٣) المصدر نفسه:٣/١١٠-١١٤.
(٤) المصدر نفسه:٤/٩/٤٠-٤١.

جاوة منزله مجلس للمذاكرة والمطالعة، وكيفية تعليم الطلاب الفقه الشافعي، وذكر هيئة المعلم ومجلسه، قال في ذكر سلطان الجاوة، بقوله :" وهو السلطان الملك الظاهر، من فضلاء الملوك وكرمائهم، شافعي المذهب، محبّ في الفقهاء، يحضرون مجلسه للقراءة والمذاكرة،... في الفقه على مذهب الشافعي، ولم يزل كذلك إلى صلاة العصر، فلما صلاها دخل بيتا هنالك فنزع الثياب التي كانت عليه، وهي ثياب الفقهاء وبها يأتي المسجد يوم الجمعة ماشيا ثم لبس ثياب الملك وهي الأقبية من الحرير والقطن"(١).

ثم ذكر أحوال المسلمين في الصين ومساجدهم، وزواياهم، وبعض مشايخهم وعلمائهم بقوله:" وفي كلّ مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بسكناهم، ولهم فيها المساجد لإقامة الجمعات وسواها، وهم معظّمون محترمون،... وكان بها من المشايخ الفضلاء برهان الدين الكازروني، له زاوية خارج البلد،..."(٢).

ثم بلغ به المسير الى مدينة صين كلان، ليعلمنا عن أحوالها ومساجدها، وزواياها، ومشايخها، قال: " وصلنا إلى مدينة صين كلان... وفي بعض جهات هذه المدينة بلدة المسلمين، لهم بها المسجد الجامع والزاوية والسوق ولهم قاض وشيخ، ولا بد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ الإسلام تكون أمور المسلمين كلّها راجعة اليه، وقاض يقضي بينهم "(٣).

١١- المؤسسات التربوية في بلدان المغرب:

ثم اختتم ابن بطوطة رحلته بالعودة من الصين الى جاوة، ثم يأخذ الطريق بغيه بلوغ الحجاز لتأدية فريضة الحج للمرة السادسة، فيتوجه الى ظفار في محرم عام(٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ثم الى البصرة، ثم الى دمشق، ثم الى القاهرة، ثم يعدو الى الحجاز فيؤدي الفرائض ثم يعود أدراجه الى مصر، ثم الى تونس، حتى يصل الى مستقره مدينة فاس ليمثل بين يدي سلطانها أبي عنان وهو من اشهر ملوك بني مرين بالمغرب الأقصى الذي حكم عشر سنوات (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م) فبلغها في يوم الجمعة أواخر شهر شعبان عام(٧٥٠هـ/١٣٤٩م) ليصف لنا حال سلطانها ويبلغنا عن أحواله ومجالس علمه التي كان يعقدها في مسجد قصره، بعد صلاة الصبح ويحضرها الفقهاء ونجباء الطلبة، ويقرأ فيه تفسير القرآن، والحديث النبوي، والفقه المالكي، وكتب المتصوفة، عبر عن ذلك بقوله:" وأما اشتغاله بالعلم فها هو أيده الله تعالى يعقد مجالس العلم في كلّ يوم بعد صلاة الصبح، ويحضر لذلك أعلام الفقهاء ونجباء الطلبة بمسجد قصره الكريم، فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم وحديث المصطفى(ﷺ)، وفروع مذهب مالك (رضي الله عنه)، وكتب المتصوّفة، وفي كل علم منها له القدح المعلى، يجلو مشكلاته بنور فهمه ويلقي نكته الرائقة من حفظه،..."(٤) ثم ذكر مأثر وأفعال وحسنات السلطان ابي عنان وبناءه للمساجد والمدارس والزوايا ودور العلم، بقوله:" ومن أعظم حسناته،

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق:٤/١١٤-١١٥.
(٢) المصدر نفسه:٤/١٢٧/١٣٥.
(٣) المصدر نفسه:٤/١٣٧-١٣٩.
(٤) المصدر نفسه:٤/١٦٥/١٩٢/١٩٨.

أيده الله عمارة المسجد الجديد بالمدينة البيضاء دار ملكه العلي، وهو الذي امتاز بالحسن واتقان البناء وإشراق النور وبديع التّرتيب، وعمارة المدرسة الكبرى بالموضع المعروف بالقصر [مدرسة فاس بناها سنة(٧٥٧هـ/ ١٣٥٧م)] مما يجاور قصبة فاس ولا نظير لها في المعمور اتساعا وحسنا وإبداعا وكثرة ماء وحسن وضع، ولم أر في مدارس الشام ومصر والعراق وخرسان ما يشبهها. وعمارة الزاوية العظمى على غدير الحمّص خارج المدينة البيضاء، فلا مثل لها أيضا في عجب وضعها وبديع صنعها، وأبدع زاوية رأيتها بالمشرق زاوية سرياقص التي بناها الملك الناصر، وهذه أبدع منها واشد احكاما وإتقانا..."(١).

ثم توجه ابن بطوطة الى مراكش واخبرنا عن مسجدها ومدرسة ابي الحسن العجيبة بقوله:" فوصلت إلى مدينة مراكش، وهي من أجمل المدن،...، بها المساجد الضّخمة كمسجدها الأعظم المعروف بمسجد الكتبيين... وبمراكش المدرسة العجيبة التي تميّزت بحسن الوضع وإتقان الصنعة وهي من بناء مولانا أمير المسلمين أبي الحسن رضوان الله عليه" (٢).

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق:٤/٢٠٢-٢٠٤.
(٢) المصدر نفسه:٤/٢٢٩-٢٣٠.

الخاتمة

خرج البحث بعدد من النتائج يمكن أن أجملها على النحو الآتي:

١- شيوع المدارس بشكل كبير في بلدان العالم الإسلامي حيث ذكر لنا الرحالتين ابن جبير، وابن بطوطة، جملة من المدارس ووصفوا طرق التدريس فيها، وذكروا المعلمين، والمناهج التي تدرس فيها ومن هذه المدارس مدارس في العراق، في الموصل، وبغداد، وواسط ، ومدارس في مصر، ومدارس في الشام في حلب، ودمشق، ومدارس في نيسابور، ومدارس في انطالية، ومدارس اسنا، ومدارس في بخارى، ومدارس بلخ، ومدارس في خراسان، ومدارس في قوص، ومن هذه المدارس: مدرسة ابن الكولمي ، ومدرسة أبي عمر بالصالحية، ومدرسة ابن منجا، ومدرسة أمراء بني حمدان، ومدرسة تقي الدين ابن السراج، ومدرسة تقي الدين الواسطي، ومدرسة الخطيب بأخميم، ومدرسة دار السيادة، والمدرسة الظاهرية، والمدرسة الكبرى البوعنانية في فاس، ومدرسة الكتبيين، ومدرسة كريوا الرخ، والمدرسة المالكية، والمدرسة المجدية، والمدرسة المظفرية، والمدرسة المستنصرية، ومدرسة تستر، ومدرسة النجمية، ومدرسة النجف، والمدرسة النظامية، المدرسة المستنصرية، والمدرسة النورية، والمدرسة الصمصامية، ومدرسة الضّياف، المدرسة العادلية، ومدرسة أبي الحسن بمراكش، والمدرسة الفلكية تبريز، ومدرسة كربلاء، ومدرسة في سوق الخيل بقصطمونية، ومدرسة في شيراز، ومدرسة في هلافيجان، ومدرسة في واسط، ومدرسة السلاطين، ومدرسة السلطان نور الدين، ومدرسة السلطان يوسف بن رسول، والمدرسة السيفية بأقنا، والمدرسة الشافعية، والمدرسة الشّرابشيّة، ومدرسة شمس الدين السمناني، ومدرسة خوارزم، ومدرسة زمشخر، ومدرسة الفنيكي في قطمونية، وغيرها من المدارس التي ذكرناها في مواضعها.

٢- تباين بلدان العالم الإسلامي في اعداد مؤسساتها التعليمية، ففي الوقت الذي ذكر لنا الرحالة عن تفوق بلدان العراق، وبلاد الشام، ومصر على ما سواها من بلدان العالم الإسلامي في أعداد المدارس فقد ذكر لنا أيضا بلدان تكاد تخلو من المؤسسات التعليمية طغى عيها الخرب وعم فيها الجهل. فقد ذكر لنا ابن جبير في معرض حديثه عن مدينة بغداد ان عدد المدراس فيها لا يحصى وأوصل مدارس الجانب الشرقي الى ثلاثين مدرسة وعبر عن ذلك بقوله: "واما المساجد بالشرقية والغربية فلا يأخذها التقدير فضلا عن الاحصاء. والمدارس بها نحو الثلاثين، وهي كلها بالشرقية،..." [١] كما أوصل عدد المدارس في دمشق الى نحو عشرين مدرسة عبر عن ذلك بقوله:" وبهذه البلدة نحو عشرين مدرسة،...ومن أحسن مدارس الدنيا منظرا مدرسة نور الدين، رحمه الله،..."[٢] أما مصر فقد عجر ابن بطوطة عن وصف المدارس فيها وحصرها فقال" وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها" [٣] أما

(١) ابن جبير، المصدر السابق: ١٨٣.
(٢) المصدر نفسه: ٢٣٠-٢٣١.
(٣) المصدر نفسه:١/ ٢٠٣.

البلدان التي عم بها الخرب وقل بها العمران، وحل فيها الجهل والظلام مدينة البصرة، ومدينة بخارى اللتان ذكرهما الرحالة ابن بطوطة في معرض حديثه عنهما.

٣- لم تكن المساجد والجامع غائبة عن عملية التربية والتعليم، فقد كان لها دور بارز كمؤسسات تربوية لتعليم العلوم على أشكالها الدينية والدنيوية، وقد سجل لنا الرحالة صوراً شتى عن دور المساجد، ووصفوا مجالس التدريس فيها، وأهم مشايخها ومن هذه المساجد والجوامع التي اوردوها في كتبهم، جامع الأبنوس، الجامع الأزهر، جامع بني أمية، جامع بيروت، الجامع الجديد، جامع حلى، جامع حمص، جامع الخليفة، جامع دهلي، جامع الرصافة، جامع الزيتونة، جامع مالقة، الجامع المظفري، جامع المكرم، جامع ملتان، جامع المنصور، جامع النيرب، جامع صنعاء، جامع فندرينا، جامع قاسيون، جامع السلطان، جوامع أسنا، مسجد بلخ، المسجد الجامع بحلب، مسجد جامع ربض الصالحية، المسجد الجامع بنابلس، المسجد الجامع بسرمين، مسجد الكتبيين، مسجد الكوفة، مسجد الموصل، مسجد نيسابور، مسجد عمر بن عبد العزيز، مسجد عمرو بن العاص، مسجد قباء، مسجد شيراز، وغيرها من المساجد.

٤- ذكر الرحالتين ابن جبير وابن بطوطة كثيراً من الزوايا والربُط الخاصة بالمتصوفة في بلدان العالم الإسلامي، ووصفوا احوالها وادوارها التي ساهمت فيها كمؤسسات تربوية تعليمية، تقوم بتدريس العلوم الشرعية واللغوية، وخاصة في بلدان المغرب العربي، وبلاد الأندلس، وفي قوص، ونيسابور، والهند، ومصر، والشام، وغيرها من البلدان.

٥- شكلت قصور الملوك والأمراء أهمية في عملية التربية والتعليم نبه إليه الرحالة في كتبهم والتي جاء في مشاهداتهم، ومن ذلك دار القاضي فخر الدين القبطي في مصر التي كان يحضرها الفقهاء وعامة الناس عند المغرب وينصرفون عند العشاء، لسماع صحيح البخاري، وكذلك الحال في بلاط السلاطين في جاوة في اندونيسيا التي اتخذت للمطالعة والمذاكرة.

٦- تنوع العلوم والمعارف التي تُدرس في هذه المؤسسات مثل علوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلوم الفقه، وتعلم الفنون والخط، وغيرها من العلوم.

٧- أما عن أمور وأحوال الطلبة والمعلمين في هذه المؤسسات فإنها كانت جيدة، فقد ضمن بعضها معاشاً للدارسين والمدرسين، ووفرت بعضها المسكن والمأكل والملبس في المدرسة، وكذلك كان ينال بعضهم نصيباً من الأوقاف التي توقف على المدرسة، كما خصصت في بعض المدارس حلقات مخصصة لتدريس وتعليم الأيتام تتكفل بنفقة الطالب ومعاشه، وكسوته. كما خصصت مدارس أخرى في خرسان مقاعد لتدريس النساء وتعليمهن أمور دينهن.

٨- كان التدريس في بعض المدارس والمؤسسات قائم على أسس مذهبية ففي المدرسة النظامية في بغداد كان التدريس محصور للمذهب الشافعي، أما المذهب الحنبلي فقد جاء في صفحات هذا البحث أن علماءه كانوا يجلسون في باحات بيوتهم على مقربة من النهر يعلمون الناس العلم. وكذلك الحال في الجامع الأموي في بلاد الشام فثمة مدارس للشافعية، ومدارس للحنفية، ومدارس للمالكية، ومدارس للحنابلة.

٩- تباين المدارس في بلدان العالم الإسلامي من حيث البناء والترتيب والمساحة، فبعضها ذو مساحات كبيرة وبعضها صغير، وبعضها مبني من الحجارة، وبعضها يزينها الرخام والفسيفساء والزخارف. فقد ذكر ابن بطوطة أن مدرسة فاس في المغرب العربي لا مثيل لها في بلدان العالم الإسلامي وهي تتفوق في بنائها وعمرانها على مدارس: العراق، وبلاد الشام، ومصر، وخراسان.

ثبت المصادر

- ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (ت:٧٧٦هـ/١٣٧٤م) الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١(دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م).
- ابن بطوطة، شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي(ت:٧٧٩هـ/١٣٧٧م) رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، تحقيق: عبد الهادي التازي، (أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٧م).
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني(ت:٧٢٨هـ/١٣٢٧م) مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٥م).
- ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين(ت:٦١٤هـ/١٢١٧م) رسالة اعتبار الناسك في ذكر الأثار الكريمة والمناسك المعروف برحلة ابن جبير، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ت).
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني(ت:٨٥٢هـ/١٤٤٨م) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط٢،(مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد،١٩٧٢م).
- الألباني، محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري صحيح الجامع الصغير وزياداته، (المكتب الإسلامي، د.م، د.ت).
- الأهواني، احمد فؤاد، التربية في الاسلام، (دار المعارف، مصر، د.ت).
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك(ت:٢٧٩هـ/٨٩٢م) الجامع الكبير – سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف،(دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م).
- جامل، عبد الرحمن عبد السلام، طرق التدريس العامة، ط٢،(دار المناهج للنشر، د.م، ٢٠٠٠م).
- حلاق، حسان، مكة المكرمة من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، ط١، (دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦م).
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي(ت:٦٢٦هـ/١٢٢٨م) معجم البلدان، ط٢، (دار صادر، بيروت، ١٩٩٥ م).
- الحميدي، عبد العزيز عبد الله، عمارة المساجد المعنوية وفضلها، طبعة (وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ١٩٩٨م).
- الحِميرى، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم(ت:٩٠٠هـ/١٤٩٤م) الروض المعطار في خبر الأقطار، المحقق: إحسان عباس، ط٢، (مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م).

- الدباغ، هدى ياسين يوسف، المظاهر الحضارية في الموصل من خلال رحلة أبن جبير(ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، مجلة دراسات موصلية، (العدد(٣٨) ذو الحجة ١٤٣٣هـ/ تشرين الأول ٢٠١٢م).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز(ت:٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م)
- الرشيد، عبد العزيز راشد علي، رسالة المسجد التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٢م).
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، ط١٥، (دار العلم للملايين، د.م، ٢٠٠٢م).
- السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي(ت:٩١١هـ/١٥٠٥م) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م).
- سير أعلام النبلاء، ط٣، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط (مؤسسة الرسالة، د.م، ١٩٨٥م).
- طلس، محمد أسعد، التربية والتعليم في الإسلام، (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م).
- عبد الدائم، عبدالله، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، ط١،(دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣م).
- القيسي، عبد هادي فريح، دور المؤسسات التربوية في تنمية المجتمع،(جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، ٢٠١١م).
- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، (مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، د.ت).
- مؤنس، حسين، ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل، (دار المعارف، القاهرة، د.ت).
- النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط٢٥، (دار الفكر، د.م، ٢٠٠٧م).
- ويكبيديا الموسوعة الحرة على الموقع الإلكتروني:www.ar.wikipedia.org
- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح(ت: ٢٩٢هـ/٩٠٤م) البلدان، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م).